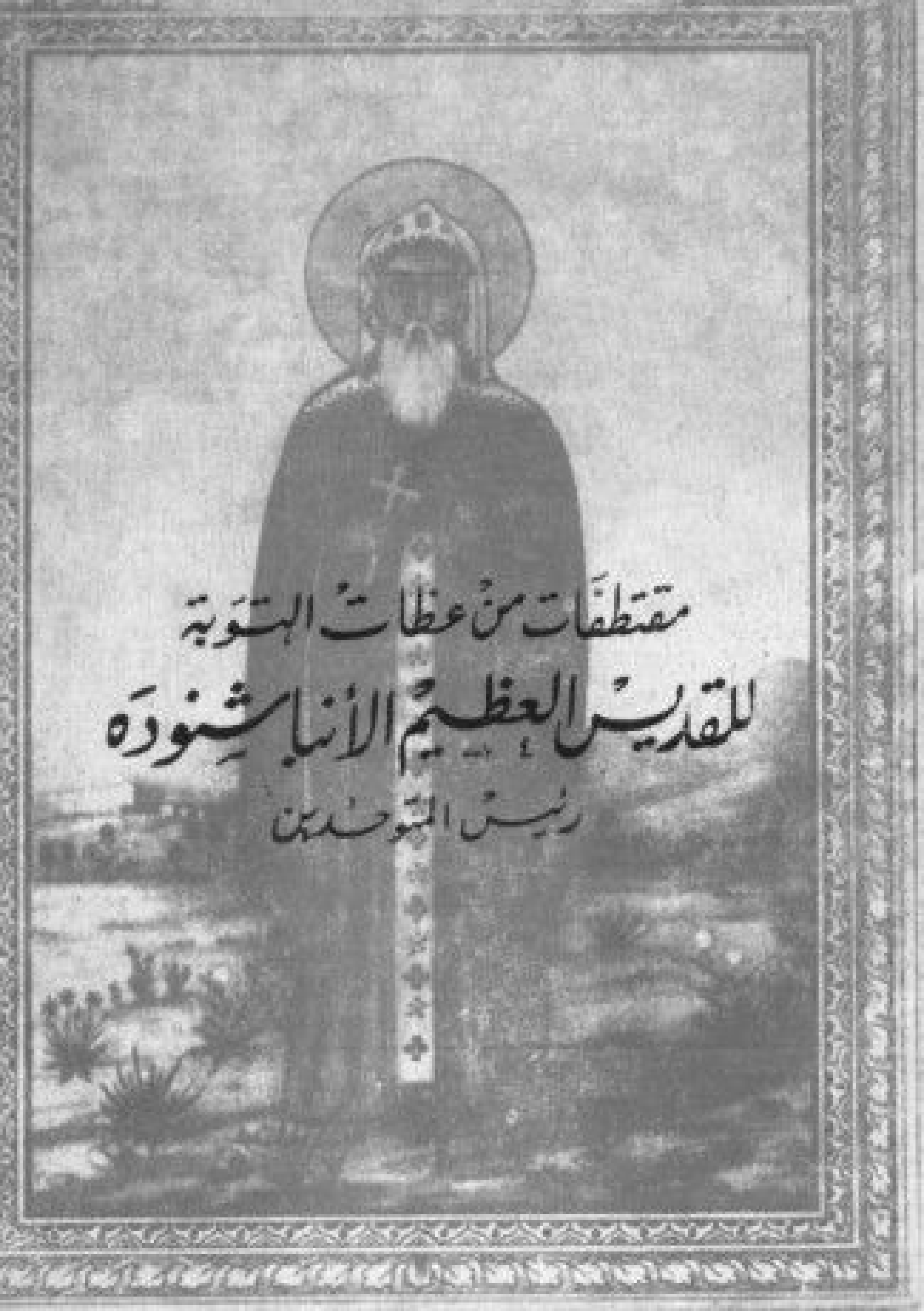

مقتطفات من عظات التوبة

للقديس العظيم الأنبا شنوده

رئيس المتوحدين

مقتطفات من عظات التوبة
للقديس العظيم الأنبا شنوده
رئيس المتوحدين

عن أقدم الوثائق الأثرية باللغة القبطية

الجزء الأول

نياحة القديس
٧ أبيب ١٦٨٢
١٤/٧/١٩٦٦

يوسف حبيب

حضرة صاحب القبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

الأنبا شنوده شخصية محبوبة جبارة جديرة بكل الإكرام ، عملاق فى المعارف اللاهوتية ، اختبر ضروب النسك داخل أديرته وخارجها فى شقوق الصحراء ومغائرها ، هو ركن شامخ من أركان الرهبنة القبطية تذكره الكنيسة فى مجمع القسحة وفى القداس ويقرن اسمه دائما برئيس المتوحدين . كان القائد الأعلى للحركة الدينية فى الوجه القبلى فى القرنين الرابع والخامس ورغم أنه عمر طويلا (١١٨ سنة) ٣٣٣ - ٤٥١ م ، ورغم أن رئاسته دامت نحواً من ٦٦ عاماً كلها جهاد ، إلا أن الغرب لم يكتب عنه شيئاً .

والعجيب أن « بلاديوس » صاحب بستان الرهبان الذى كتب عن آباء وادى النطرون الكثير ، ورغم زيارته منطقة أديرة القديس العظيم الأنبا شنودة - (زار بابابوليس أى اخميم ، وهى تبعد عشرة أميال فقط عن الدير الأبيض) لم يكتب شيئاً عنه ولا عن أديرة الرجال التى كان يديرها ولا عن أديرة النساء التى كان بإحداها نحو ١٨٠٠ راهبة - فكأنه لم يقم قديس واحد

من الآباء الرهبان الذين كانوا بالديرين الأبيض والأحمر وكانوا نحو ٤٠٠٠ راهباً عدا النساء .

ويبدو أن « بلاديوس » صاحب بستان الرهبان أغفل زيارته للأنبا شنوده ورهبانه أو الكتابة عنه ، لأن الأنبا شنودة ما كان يسمح بأن يلتحق أحد من الأجانب بأديرته التي كان لها الطابع القبطي الصميم وكان كل الرهبان من الأقباط ، وكانوا متمسكين بلغتهم القبطية تمسكاً شديداً ، كما أن النفور بين القبط والإغريق كان كبيراً لأسباب منها اللغوى والثقافى والدينى والسياسى .

وكان الأنبا شنوده من العاملين على تهذيب اللغة وآدابها من التأثيرات البيزنطية . لقد كان القائد لحركة تحرير الكنيسة القبطية وعدم تأثرها من الناحية الدينية بالقسطنطينية . وبينما كانت أديرة الأنبا باخوميوس فيها البيزنطى واللاتينى والفلسطينى إلا أن أديرة الأنبا شنوده لم يقبل فيها غير الأقباط فقط ، وكان يعطف على مواطنيه ويقاسمهم أتعابهم وضيقاتهم .

ونضيف إلى ذلك صرامة القديس الأنبا شنوده ونظامه الفريد الذى كان طابعه الحزم وعدم المهادنة ، والمرجح أن بلاديوس لم تجذبه مبادؤه وقوانينه .

وكان من بين قوانين الدير ما يحرم نقلها إلى الخارج حتى إلى الأديرة القريبة كما يتبين ذلك من القصة التالية .

عن وثيقة فى كنيسة نقاده (بمحافظة قنا) تحتوى على سيرة أنبا أفرآم ، وردت فى سنكسار ٢٤ طوبة أنه كان قد مضى إلى دير أنبا شنوده وأقام به وبدأ ينقل قوانين القديس ويكتبها فى أوراق إلى أن أكملها وجعلها طروداً وختمها وأرسلها إلى دير القديس مؤسيس (موسى) وبعث برسالة إلى الدير على أنها حبوب . وحدث بعد ذلك أن نفذت البقول بالدير ولم يجدوا حبوباً ففتحوا الطرود ووجدوا القوانين التى وضعها الأنبا شنوده لأن الرهبان الذين كانوا فى دير الأنبا شنوده ما كانوا ليمكنوا أحداً من نقلها . . وكان ذلك فى أيام (يوستنيانوس الملك فى القرن السادس (١)) .

ويضيف « د . أوليرى » فى كتابه « قديسو مصر » أن بلاديوس كان يونانياً وكان يميل الى الرهبان الذين يجيدون

---

(١) عن مقدمة الجزء الأول من كتاب :

Œuvres de Schenoudi ص XX ١٧

اليونانيـــة (١) .

كل هذه الأمور مجتمعة وغيرها مما لا نستطيع الجـــزم به جعلت بلاديوس لايتعرض للكلام عن هذه الأديرة ولا عن مؤسسها ورهبانه .

ونلاحظ أنه لم تظهر سيرة واحدة من سير آلاف الرهبان الذين كانوا تحت إدارته ، إذ اندثرت أخبارهم ، كما أنه لايعرف إذا كان أحدهم إعتلى كراسى الأسقفية . والمعتقد أن الرجوع

(١) كان الأنبا شنوده يعرف إلى جانب القبطية اللغـــة اليونانية وكل كتاباته كانت بالقبطية (الديموطيقية التى كانت مستعملة لغاية القرن الثامن) لكنه كان يستخدم القليل من اليونانية فى مقالاته ، ومن المألوف إستخدام بعض الكلمات اليونانية فى اللغة القبطية لكى تؤدى الكلمات معناها الصحيح الدقيق وخصوصا مسميات الأشياء المقدسة - ونقول أيضا أن بلاديوس زار الكثير من الرهبان المصريين الذين لا يجيدون اليونانية فى أخوف الصحارى وفى أعماق البرية ومن أكثرهم تقشفاً ونسكاً وكتب الكثير عنهم - ولم تكن زياراته وكتاباته قاصرة على الذين يجيدون اليونانية فحسب .

إلى مخطوطات مجموعة « Morgan » بالقبطية الصعيدية المحفوظة بالمتحف القبطى قد يكشف اللثام عن الغموض الذى يحيط بأديرة الأنبا شنوده ومؤسسها ورهبانه .

ولا تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالقديس الأنبا شنوده (كما انها لم تعترف بالقديس الأنبا دانيال قص بربة شيهيت)، رغم أن القديس كيرلس الكبير عامود الدين كان يصف دائما الأنبا شنوده بالقديس النبى (١) ، بينما تعترف الكنيســـة الكاثوليكية بالقديس كيرلس.

نشرت مجلدات ضخمة كثيرة عن آباء وأدى النطرون بكل اللغات وأصبح لدينا من المؤلفات معين لاينضب ، بينما أهملت كتابات قديسنا الأنبا شنوده ولم تجمع آثاره وهو العملاق الذى عرف فى تاريخ الأدب القبطى وكان أعظم كتابه .

فى كتاباته الكثير من الصور الرائعة التى تضفى على كلامه قوة وتأثيراً يستمد من روحه الفارة، ويقبس من أدبه العزيز وخطبه ورسائله ووصاياه وكان أكبر الخطباء فى عصره .

(١) سننشر بالقبطية فيما بعد جـــزءاً من رسالة القديس كيرلس الكبير فى هذا الشأن .

رسم طريقة الرهبنة فى ديره وعلاقته بحكام عصره وعالج شئون الدير وحقه على الرهبان ودعاهم إلى التقوى وحفظ الوصايا وبذل الخير عن فطرة سليمة ونية صافية فى غير غش فى السر والعلانية كما سنبين ذلك فى التعهد الذى كان يأخذه على من يلتحق بالدير . وقد عمر طويلا أكثر من سائر الآباء إذ عاش ١١٨ سنة ولا تزال مؤلفاته بالقبطية الصعيدية فقط لم يهتم أحد من الغرب أو من الشرق بفحصها وترجمتها وإظهارها .

ويقول الأستاذ العالمى الدكتور عزيز سوريال عطيه فى ذلك:

« إن مركز أديرة أنبا شنوده على جانب عظيم من الاهمية والخطورة فى تاريخ الديرية والقومية المصرية على السواء ولا زال مع الأسف هناك قصور فى البحث والتنقيب فى مختلف نواحيه ومعلوماتنا إذا قيست بالجماعات الباخومية سطحية وتافهة . . . والمستقبل وحده كفيل بجلاء الغموض الذى تنطوى عليه قوانين الأنبا شنوده وعلاقاته الدقيقة مع من عاصره من الحكام »(١) .

كان القديس العظيم الأنبا شنوده كثير الانتاج ، بليغاً فى

(١) عن كتاب الرهبنة القبطية سنة ١٩٤٨ .

خطابه عنيفاً فى عظاته وترك مجموعات وافرة من التفاسير والعظات والمبامر وكلها وسمت جوانب متعددة من الثقافة والتوجيه الدينى والإرشادات التاريخية والحكمة .

وإذا تركنا القديس « بلاديوس » جانباً نجد أن باقى المؤرخين الاجانب أهملوا أيضا ذكر القديس شنوده وأديرته ورهبانه ، وعلى سبيل المثال أيضاً نذكر القديس جون كاسيان الذى زار مصر مع صديقه جرمانوس حوالى سنة ٣٩٠ م ومنها إلى القدس ثم عاد إلى مصر فى سنة ٣٩٩ م ، حيث وضع مجلدين باللاتينية عن آباء البرية ، فى هذه المدة كان القديس الأنبا شنوده رئيسا للأديرة (٣٨٣ - ٤٥١ م) .

أيضا القديس جيروم وكان من أكثر المعجبين بالحياة الفسكية المصرية ، فى حوالى سنة ٣٨٦ م زار أديرة شيهيت وكتب الكثير عنها .

وخلاف المؤرخين القدامى نجد أن سائر المؤرخين - كما سيأتى ذلك تفصيلا فى الفصل الاول - أهملوا زيارة أديرة الأنبا شنوده والكتابة عنها .

ويقول « د . أوليرى » فى كتابه « قديسو مصر » إن

الكنائس الغربية لا تعترف بالقديس شنوده وظل هكذا منسياً حتى جاء Zoega ، فى القرن التاسع عشر فكتب عنه بالخارج.

لكننا نقول إذا كان الأجانب لم يهتموا بالكتابة عن القديس فما موقف الكنيسة القبطية فى القرون المختلفة ولماذا لم تترجم بعض المؤلفات إلى العربية ؟ .

الكثير من كتابات الآباء نقلت الى العربية .

إن القديس انطونيوس كتب رسائله وتعاليمه باللغة القبطية الصعيدية - يؤيد ذلك العبارة الآتية الواردة بمخطوط رقم ٨٨ طقس بالمتحف القبطى بآخر هذه الرسائل : إن الرسائل والتعاليم التى للقديس أنطونيوس ، ترجمت من اللسان الصعيدى إلى اللسان العربى فى آخر سنة ٩٨٦ ش (١٢٧٠ م) بديره المعروف ببرية العربة (١) ، ومن هذا القرن بدأت الترجمة للعربية .

فى القرن التاسع بدأ اضمحلال القبطية ، وفى القرن الثالث عشر كانت اللغة السائدة هى العربية ، ومع إنتشار العربية فإن القبطية كانت لا تزال فى الوجه القبلى فقد ذكر المقريزى

(١) صفحة من تاريخ القبط ص ٤٧ .

فى القرن الخامس عشر ، والاغلب على نصارى ، هذه الأديرة معرفة القبطى الصعيدى وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحيرية ، ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية ولهم معرفة تامة باللغة الرومية ، وذكر Maspero فى محاضرة له فى سنة ١٩٠٨ .

« لكن من المؤكد أن سكان صعيد مصر كانوا يتكلمون ويكتبون القبطية حتى السنين الأولى من القرن السادس عشر » .

فقد كانوا يجيدون القبطية والعربية وإذا كان هذا شأن عامة الناس بالصعيد فكم كان شأن الأديرة ، كان كل دير يحتفظ بكل ما يكتب فيه ولكل دير مكتبه وكانت الأديرة مراكز ثقافية - على مر العصور - وكان الرهبان يعنون بشئون النسخ والتأليف والترجمة .

لماذا لم تقم الكنيسة القبطية سواء الرهبان أو غيرهم فى أى قرن من القرون بترجمة القليل من كنوز أديرة الآباء شنوده المكتوبة باللسان الصعيدى ، وقد ظلت القبطية الصعيدية معروفة الى بضعة قرون كما رأيت ؟.

لاشك أن هذه ناحية من نواحى الغموض التى أشار اليها الدكتور عزيز سوريال عطيه .

حتى القراءات الكنسية نجد أن فى كتاب الابصلودية السنوية أو الكيهكية وغيرهما من الكتب الكنسية الكثير من القراءات القبطية وترجمتها للعربية .

أما القديس العملاق الأنبا شنوده . فلم نقف له على قراءات متداولة نقرأ فى عيده فى كنائس مصر - أثناء البحث وجدنا فى كتاب .

. Scriptores Coptici Textus Series Secunda Tomus1V, Sinuthi Archimandritae Vita et Opera Omnia Edidit Iohannes Loipoldt Aduvante W-E. Crum III . .

(وكله باللهجة الصعيدية مقتطفات أقوال الأنبا شنوده) .

أبصالية واطس تقرأ فى ٧ أبيب ص ٢٢٦ - ٢٣٠ .

وأبصالية آدم ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

هاتان الابصاليتان باللهجة البحيرية ، وقد نشرتا بكتاب

الإبصاليات طبعة سنة ١٩١٣ ، أما سائر القراءات الكنسية الاخرى سننشر تفصيلات عنها بآخر الكتاب .

وينبغى أن نصمت ازاء هذا الغموض ويكفينا ما ذكره الدكتور عزيز سوريال عطيه لان المستقبل وحده كفيل بجلاء هذا الغموض .

بذل الأنبا شنوده مجهوداً كبيراً فى محاربة الوثنية واقتلاع جذور خرافاتها فى الكنيسة مثل السحر والتعاويذ والدجل الطبى والبدع الاجتماعية المختلفة - وجاءت خطبه مرآة صادقة لحياته ، وتصور لنا عظته عن الموالد التى سيأتى تدوينها بعض مثله أصدق تصوير .

جاهد زمناً طويلا فى أحرج الاوقات وأخطرها ، انعقدت المجامع فى حياته فى أعوام ٤٣١ - ٤٤٩ - ٤٥١ م - وفى مجمع أفسس سنة ٤٣١ م . اصطحبه القديس كيرلس الكبير للدفاع عن الإيمان ، وكان معجباً بفصاحته وبلاغته وقوة حجته وإلحامه فضلا عن قداسته وكان يلقبه دائما بالقديس التي . رقد فى الرب

فى سنة ٤٥١ م (٧ أبيب) فى نفس العام الذى انعقد فيه مجمع خلقيدونية ، وخلفه فى الدير الأبيض تلميذه الأنبا ويصا (١) . وقد تنيح بعد عام سنة ٤٥٧ م .

يوسف حبيب

(١) لم تظهر له سيرة للآن ولم يستدل على أية مراجع تاريخية لحياته .

الفصل الأول

البعثات الأجنبية الأولى

فى مصر ونصيب مؤلفات القديس

توالت البعثات من كافة بلاد أوربا منذ القرن السابع عشر (١) . الى كافة الأديرة وأخذوا كل ما يمكن أخذه الى بلادهم ، عدا أديرة الأنبا شنوده فلم يحفل بزيارتها إلا القليل .

فى سنة ١٦٣٠ م زار « بيرسك » أحد هواة الكتب بباريس

(١) من هذا القرن فقط بدأ هجوم الأجانب على الأديرة حيث نقلوا إلى متاحف الخارج كل المخطوطات المهمة وكان عدد المخطوطات بالآلاف . ومعروف أيضا أنه من هذا القرن فقط بدأت دراسة اللغة القبطية فى أوربا ، ويقرر « Mallon » فى مقدمة كتابه « الاجرومية القبطية » ويقول :

« L'étude de la Langue Copte en Europe date du 17' Siècle .. . .

وادى النطرون ونقل عددا كبيرا من مخطوطات دير السريان ، ثم « هانتنجتن » الذى نقـــل بعض المخطوطات الهامة من دير أبى مقار ما بين ١٦٨٢ / ١٦٨٣ م ، ثم الياس السمعانى أمين مكتبة الفاتيكان فى سنة ١٧٠٧ م وابن عمـــه يوسف السمعانى سنة ١٧١٥ م . الذى ذكر أنه حصل على مخطوطات على أعظم جانب من الأهمية من أديرة وادى النطرون . ثم « أندريوسى » فى سنة ١٧٩٩ م ، و « دروفى » فى سنة ١٨١٨ م ، وكرزون » فى سنة ١٨٣٧م ، « وقسطنطين تيشندروف » و « شستر » الذى زار الأديرة الشرقية والغربية سنة ١٨٧٣ م . أخـــيراً ايفلين هوايت سنة ١٩٢٠ م . الذى وضع ثلاثة مجلدات ضخمة عن رهبان وأديرة وادى النطرون ، تعتبر من المراجع الهامة جدا لا يستغنى عنها كل باحث .

توالت زيارة علمـــاء الآثار الأجانب هؤلاء وغيرهم الى الأديرة الشرقية والغربية وحصلوا على الكثير من المخطوطات وتزينت بها مكتبات ومتاحف أوربا الشهيرة ، ونشر هؤلاء العلماء الكثير من الكتب عن وادى النطرون ورهبانه باللغات المختلفة ، عدا أديرة الأنبا شنوده ورئيسها ورهبانه . ومؤلفاتهم لم يذكر لنا أحد عنها شيئا الا القليلين من الأجانب أمثـــال

م . ماسبرو وزويجا ، والثانى من أعاظم علماء الآثار العالميين ومن أكبر العلماء فى اللغة القبطية (١) ، وهذان لم نعثر لهما على مؤلفات لأنها محفوظة بمتاحف أوربا .

بعد البحث الطـــويل عثرنا بمكتبة الجمعيـــة الأثرية بالقاهرة على مؤلف فريد للعلامة « E. Amélineau » وهو كتاب « Œuvres de Schenoudi » من خمسة مجـــلدات مقيدة بالمكتبة من رقم ٥٣٥ - ٥٣٩ آثار . أكثر من نصفها مقدمات علمية مطولة والباقى مقتطفات من متفرقات لأقوال القديس الأنبا شنوده بالقبطية الصعيدية مع ترجمة لها بالفرنسية ، وهذه الأقـــوال غير مترابطة مع بعضها البعض للأسباب التى أوضحها المؤلف والتى سنعرض لها فيما بعد .

اضطر الأمر الى السفر مرارا كثيرة لنسخ هذه المجلدات جميعها - التى لا توجد إلا فى هذه المكتبة - وتم ترجمة بعض ما وجـــدناه ملائما منها للرهبان ولغير الرهبان عن الكتاب

---

(١) مخطوطات الشانى محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ونابولى ، بالمتحف القبطى بمجموعة Morgan السابق الإشارة اليها .

السابق Œuvres de Schenoudi 1 Fasc . 1,2,3 وأكملناه بما وجدناه فى كتاب :

Scriptores Coptici, Series Secunda — Tomus 5, Sinuthi, Opera IV.

وما نشر فى مجلة «Le Museon XLV 1932».

فيما يختص بالملاحظات على عظات الانبا شنوده التى تقال فى أسبوع الآلام ، لأن جميعها تتعلق بالتوبة .

أيضا بالبحث وجد أنه كتب عن الأنبا شنوده فى المجلة رقم ٢٣ .

Chassinat Emile .

Le quatriéme Livre des Entretieus et epitres de Shenoudi .

(المعهد الفرنسى للآثار الشرقية سنة ١٩١١) .

وتترجم عن المؤلف ، E. Amelineau ، فيما يلى مختصرا بما ذكره فى كتابه السالف الذكر «Œuvres de Schenoudi» عن مخطوطات قديسنا العظيم الأنبا شنوده لنتبين كيف أن طريق

استخراج عظات هذا الآب شاق طويل كما ذكر استاذى العلامة المتنيح يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف .

يقول « اميلينو » ما ترجمته :

« .. فى يناير سنة ١٨٨٥م . فى رحلة للأديرة القبطية كانت لدى فرصة طيبة لاكتشاف أهمية مكتبة الدير الابيض أو دير شنوده .. كنت الأول الذى عثر على بعض المخطوطات لكنى لم أفلح فى أن اجمعها كلها لتكون تحت يدى ، ولما تركت الدير الأبيض جاءتنى بعض أوراق .

فى نوفمبر من نفس السنة علمت أن كمية كبيرة من هذه المخطوطات فى حيازة M. Maspero لحساب المكتبة الأهلية بباريس ، وفى يناير سنة ١٨٨٦م . علمت أن بعض الأوراق الهامة معروضة للبيع عند أحد تجار الآثار بالقاهرة - كتبت للفور لمسيو M. Guimet الذى رخص لى بشرائها ومدنى بالمال اللازم

لما عدت لباريس باتفاق مع M. Guimet ضممت المخطوطات التى وجدت بالدير الأبيض والمشتراة بمصر الى ماهو

موجود بالمكتبة الأهلية ومتحف اللوفر .

كانت المخطوطات التى وجدت بالدير الأبيض على جانب كبير من سوء الترتيب وفى حالة سيئة ، الأوراق متناثرة من بعضها البعض وعن مجموعاتها .. وعدد كبير منها فضلا عن ذلك كان ممزقا الى أجزاء صغيرة .. وباختصار كانت فى حالة كبيرة من التلف .

وكانت تتضمن ثلاثة أقسام :

(١) قسم خاص بالأسفار المقدسة وقد اهتم به M.Maspero وبه بعض مذكرات العهد القديم .

(٢) قسم التأليف وقد نشر Bouriant أعمال مجمع أفسس فى الجزء الثامن من مذكرات البعثة الأثرية الفرنسية .

(٣) « التاريخ والخطب ... » .

.. وإن أمناء المكتبة الأهلية بباريس أقروا أنه من الصعب الاستفادة من هذه المخطوطات بوصفها الحالى من سوء الترتيب ، وقد كلفت بهذا العمل فابتدأت بنسخ المخطوطات

كلها .. وكان من اللازم نشر كل ما هو مفيد ، سواء فى هذه المكتبة أو فى مكتبات نابولى واكسفورد ..

ابتدأت فى دراستى ـ المخطوطات المحفوظة فى المكتبة الأهلية بنابولى، مخطوطات باريس ، والمجموعة الخاصة الموجودة بمكتبة Lord Crawford و Balcarres و Zouche .

كان من اللازم أيضا لمعرفة تاريخ دير الأنبا شنوده أن نربط الكتابات بعضها ببعض الخاصة بهذا القديس الشهير مع خلفه ـ هذا ليس كل شىء فقد كان بين المعلم والتلميذ اختلاف كبير فى الطباع فبينما كان الأول عنيفا وقويا كان الثانى سهلا ومسالما ـ وان ويصا تلميذه يعطينا معلومات عن رهبان الدير الأبيض وعن دير النساء أيضا والدير الأحمر ..

ولقد قامت أمامنا صعوبات كثيرة منها ما ظهر بالنسبة للعادات العامة للرهبان التى نجهلها سواء بالنسبة للحياة الديرية التى لا نعرف عنها تفصيلات كثيرة أو بالنسبة لغيرها لكى نعبر التعبير الصحيح عن كل ما فى هذه الأوراق .

والذى أرجوه أن الذين يأتون بعدى لاينسون انى كنت

أول من سلك هذا الطريق . فإنه عندما يمر الإنسان فى غابة ويكون أول المارين لابد أن يترك آثارا تنفع من يسيرون خلفه يتتبعون خطواته . واستطيع أن اصرح أن المجهود الذى بذلته الآن فى نشر ما نشرته من مخطوطات يعتبر كلعب الأطفال إذا قورن بالمصاعب التى ظهرت فى مؤلفات أنبا شنوده . فهذه المخطوطات مليئة بالاخطاء والحذف وربما أخطأ فيه النساخ سواء أكان ذلك نتيجة للسرعة أو التعب أو السهو . فضلا عن عمق أسلوب المؤلف فى تفكيره الذى يشتد بشدة المواقف المختلفة ويعالج نواحى السلوك فى الحياة .

وخلاف هذه المخطوطات مخطوطات أخـــرى فى مكتبة Naples والبعض بمكتبة Venise وهذه نشرها وقام بترجمتها Mingarelli و Zoega والمخطوطات التى نشرها الثانى من أصعب المخطوطات .

إن مؤلفات الأنبا شنوده يمكن تقسيمها إلى أقسام ، ما يخص أديرة الرهبان وما يخص أديرة الراهبات ، وما هو موجه إلى الرؤساء ، وما يدور حول تواريخ بعض الشخصيات ، خطب موجهة ضد الوثنيين بإخميم ومقالات بشأن الحكام

المختلفين الذين مروا فى مدينة Antinoé (١) . وغيرها . لكن نظراً لعدم الترتيب يتعذر معرفة أى خطاب تحرر لهذه الجماعة أو تلك ، وأى هو الخطاب الثانى أو الخطاب الثالث وما أشبه .

وفى الواقع ان اسم « Zoega » سيظل ظاهرا بخطوطات الأنبا شنوده لأنه قام بعمله بذكاء ومهارة خارقة ، وهذا العالم الكبير يعد بحق أكبر عالم فى الآثار القبطية الى وقتنا الحالى .. ساعدت مؤلفاته كثيرا ممن نهجوا نهجـــه وتبعوا خطواته ، ويستحق أن يتخذ مرشداً من كل الوجوه .

ولانقصد بهذا أن كل كتابات الأنبا شنوده تتميز بالصعوبة لأننا نجد له مقالات كثيرة فى أسلوب سلس يتميز بدقة اختيار الالفاظ ، كلمات مألوفة بليغة فيها القوة فى الأداء وعبارات جزلة تنساب من فم لرهبانه ، لكن صوته فى هذا كان كصيحة الأسد عندما يزأر أحيانا ثم يداعب أطفاله ..

---

(١) تقع مكانها قرية الشيخ عباده على ضفة النيل الشرقية ، كان بها كثير من أديرة الرهبان والراهبات .

. وإن المخطوطات التي قمت بنشرها تختص بالاعمال الرهبانية ويمكن تمييزها لأن أسلوب الأنبا شنوده الشديد يختلف عن أسلوب أنبا ويصا الرفيق .

..وما قامت به البعثات الفرنسيسكانية في القرن الثامن عشر وما اكتشفته من مخطوطات في أوائل القرن التاسع عشر إنما جاءوا بها من مصر لتوضع في أكبر مجموعات الآثار الاجنبية .. والمرجح أن كل مخطوطات Venise, Naples Paris, أخذت من الدير الأبيض(١) أو الاديرة قرب أسيوط.

(١) يلاحظ أن سيرة القديس ارسانيوس أخذت أيضا من الدير الابيض وهي باللهجة الصعيدية ، نشرتها مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية سنة ١٩٣٠ عن صفحة ١٩٥ - ١٩٩ ، وهي محفوظة بالمكتبة الاهلية بباريس القسم القبطي تحت رقم ١٢٩ حياة الرهبان الجزء الثاني ص ٤٦ - مخطوط على ورق البردي - ترجمناها للعربية (ترجمة حرفية) في كتابنا « القديس ارسانيوس » .

وإلى وقتنا الحاضر ما خلا بعض قراءات من الاسبوع المقدس لاتوجد أية ترجمة باللهجة البحيرية لمؤلفات الأنبا شنوده واعتقد أنه لا يمكن أن نجدها (١) .

قد حاولت في رحلاتي الكثيرة للأديرة القبطية أن أتعرف عما إذا كان أحد لديه شيء فلم انتفع شيئا ، لكني رأيت ترجمة عربية لحياة الأنبا شنوده في دير المحرق حيث توجد مؤلفات كثيرة بالقبطية والعربية ، وهذا المؤلف عبارة عن سيرته لكن ليس مؤلفاته .

كان لي رجاء رغم ذلك أن أجد ترجمة عربية لهذه المؤلفات في أية مكتبة لاي دير لكن رغم كل الجهود لا في المحرق ولا في نقادة أو غيرهما (حيث يوجد عدد كبير من المؤلفات مترجمة الى العربية) أمكن العثور على شيء .

لقد أخبرت أنه لم يعد لدى الرهبان شيء وكنت على علاقة طيبة معهم فتمكنت من البحث في المكتبة وفي خزائن الكتب وفي الصناديق التي كانت بعض الكتب مخبأة فيها .

(١) نشرنا مواعظ الأنبا شنوده الخاصة باسبوع الآلام في آخر هذا الكتاب .

وإذ اتكلم من الاديرة قرب أسيوط لا أقصد المحـــرق ولا منفلوط التابع للمحرق ولكني أقصد بالأكثر الاديرة الكائنة بجبل أسيوط حيث كانت توجد مراكز للتوحدين وكانت قائمة بين شنوده ويوحنا الاسيوطي .

ومن المحتمل أن بعض مخطوطات نابولي قد جيء بها من قبلي أسيوط أو شمالي الدير الابيض. هذا الدير هو الوحيد الذي أمكن البحث فيه عن مؤلفات الأنبا شنوده ، وفيه وجدت مخطوطات خاصة بالخدمات الكنسية . حياة القديسين ومن بينها سيرة الأنبا شنوده وسير رهبانية. وفي مكتبة دير أنبا ابلياس (١) وجدت أربعة مجلدات لاعمـــال الأنبا شنوده وهذه نشرها Bouriant في مجموعة Maspero .

إن الكثير من كتابات الأنبا شنوده رهبانية والموضوعات التي عالجها قبل كل شيء خاصة بالرهبان .

كان على الرهبان أن يحفظوا عن ظهر قلب قسما من الكتاب المقدس فالقديس Pisentios حفظ المزامير عن ظهر قلب كما يذكر في سيرته، والأنبا شنوده كان يحفظ عن ظهر قلب جزءاً كبيرا من العهدين القديم والجديد، ولذلك كان يقتبس كثيرا من محفوظاته .

(١) قرب قوص .

وكما سبق ذكرنا كان القديس الأنبا شنوده خطيبا بليغا كثير الإنتاج مالكا لناصية اللغة القبطية ، وتوجد الآن مجموعة هامة من المجلدات يبلغ عددها ٥٦ مجلدا كبيرا كلها باللغة القبطية باللهجة الصعيدية اكتشفت سنة ١٩١٠ في خرائب دير الحامول بالفيوم واشتراها المستر Pierpont Morgan أحد ثراة الامريكان ، وما زالت إلى اليوم محفوظة في مجموعته الخاصة في أمريكا، وتوجد صـــور منها بالمتحف القبطي - وفيها الكثير عن أنبا شنوده - تنتظر من يفك ختومها .

من هذه المجموعة قام العلامة درشـــر الذي كان يتردد على المتحف القبطي بمصر بنشر سيرة الشهيد العظيم مار مينا العجائبي، مع ترجمة لها بالانجليزية - وقام العالم الأثري المرحوم الدكتور توجو مينا بالمتحف القبطي بنقل سيرة الشهيد العظيم مار ابيما مع ترجمة للفرنسية بناء على توصية الدكتور العالمي في الآثار Crum كما اهتمت المكتبة الاهلية بباريس بأخذ ٨٩ صورة فوتوغرافية مما وضع بالقبطية عن هذه السيرة ، وقد نقلناها للعربية كاملة لاول مرة (١) .

ونترجم قدرا ضئيلا من مقالات القديس الأنبا شنوده

(١) انظر كتابنا « الشهيد ابيما » .

وتفاسيره وعظاته مما امكننا الاطلاع عليه ، وهذا القدر ليس إلا نقطة ماء من بحر علمه الزاخر ومؤلفاته الضخمة فى مختلف النواحى

وإن رأيت صرامة فى بعض عظاته فاعلم أن الكثير منها يتعلق برهبانه وبنظام أديرته وقوانينها كما يتبين ذلك من نص العظات ، وغير خاف أن كل القيادات تستلزم الحكمة مع الحزم حسبما تقضى به الظروف .

ونستطيع أن نقول أيضا أن من يراجع قوانين القديس باخوميوس نفسه بالنسبة لرهبانه يرى أنها كانت صارمة أيضا . وان كانت قوانين قديسنا الأنبا شنوده تفوقها فى الصرامة ـ كان لابد من التحذير والتوبيخ عدة مرات ويختلف هذا التحذير باختلاف ما يقع من اخطاء وظروفها ، وإذا كانت الإنذارات غير كافية للردع فكانت تفرض أصوام خاصة ، فرز مؤقت ، تجريد .. الخ ، ومعروف أن كل هذه الأمور الغرض منها شىء واحد وهو خلاص النفس فى اليوم الأخير لأنه أمينة هى جروح المحب وغاشة هى قبلات العدو .

وندون هنا شيئا يسيرا عن سيرة هذا القديس العظيم .

† † † † †

صلوة خاصة بالقديس (١)

† المجد للآب والابن والروح القدس ثالوث فى وحدانية ووحدانية فى ثالوث .

† اللهم نجنى لكى لا أخطىء اليك اليوم بشكل من الاشكال إن كان بقول أو بفعل أو بفكر من القلب .

† اللهم اغفر لى أنا الخاطىء فإنى لا استحق أن ارفع عينى اليك يارب لانى اخزى من أجل كثرة خطاياى .

† اللهم لا تحسب على آثامى بل اصنع معى رحمة فى ملكوتك .

† اللهم انى اتضرع اليك واسألك من أجل نفسى وجسدى الباتسين أن تهب لى أن اصنع إرادتك لترشدنى برحمتك ، ايها الرب الإله اغفر لى خطاياى واسترآثامى ـ ونجنى من غضبك ورجزك .

† اللهم ماذا أقول حين حضورى بين يديك وبم اتزكى حين تحاكمنى ؟ يا يسوع المسيح دبرنى ، استرنى من الأهوال ، ونجنى من أمواج لجة الشيطان ، ضع سلامك واسمك القدوس

---

(١) منقحة .

على أيها الساكن فى السموات ، ولتشملنى رحمتك وتسترنى .

† اللهم لا تسلمنى ليد العدو ، فإنى القيت كل اهتمامى عليك أيها المسيح ابن الله .

† اللهم إذا ملت الى الشر فلا تتركنى ولا تدعنى أسير مع شهواتى الرديئة ، ولا تدع تبكيتى ليوم دينونتك العظيمة ، ولا تقضى على كاستحقاق خطاياى ، بل استر عرى أمام منبرك المرهوب .

† اللهم طهرنى كى لا يوجد فى نفسى دنس بين يديك أيها الإله محب البشر حصن نفسى بدمك الكريم واضبط نفسى من الخطية فأحيا فى خوفك ، ايقظنى من سنة الغفلة التى تنتج من تبع الخطية الردىء الطعم واحفظنى من الضلالة والزلل بشفتى ، واجعل ملاكك الطاهر يطرد عنى كل تجديف فيجد روحك القدوس مكانا فى .

† أيها الصالح اعطنى سبيلا أن أهرب من عثرات الضلالة لتسبحك نفسى وروحى كل أيام حياتى .

† اللهم استجب لى ككثرة رحمتك وتقبل بين يديك صلاتى وابتهالى .

† اللهم نجنى لكى لا أخطىء اليك واعطنى سبيلا أن أصنع

مشيئتك ولا تنزع نعمتك عنى ولا تبعد عنى معونتك . أعن ضعفى على الشرير وجنوده وتابعى هواه وطهر قلبى ولسانى وجميع حواسى . وانزع منى القلب الحجرى وانعم على بقلب منسحق لاتضرع أمامك . لا تفحص خطاياى أو تبحث عنها بل امحها كلها

† اللهم لا ترفضنى بما انك دعوتنى فإنى عاجز بسبب خطاياى ، بل ارحمنى يا من له سلطان الرحمة ، فلا اقلق فى وقت شدتى المخوفة .

† اللهم اجعلنى مستحقا أن أباركك كل الأوقات وإلى النفس الأخير . ثبت كلماتك المقدسة فى قلبى ونفسى واجعلنى مستحقا لقولك الذى وعدت به محبيك .

† اللهم لا تطلبنى وانت غاضب وكن لى معينا فى زمان شدتى ، ولا تخف وجهك عنى عند وقوفى أمامك .

† اللهم لا تطرحنى عن يسارك لأنى عصيتك . هب لى ثباتا وصبرا واجعلنى مستحقا لطهرك فإنك قدوس .

† اللهم قدس قلبى أمامك ليكون هيكلا لروحك القدوس ونجنى من جميع فخاخ الشرير . دبر سيرتى كما يرضيك .

† اللهم تراءف علي واسمع صلاتي واستجب لتضرعي ، لتستقم صلاتي أمامك كرائحة بخور طيبة بين يديك .

† اللهم لا تحاكم عبدك فإنه لا يتزكى أمامك أحد .

† اللهم إن تفوهت بهذه الاعترافات بين يديك تفضل بعظيم رحمتك وارحمني واستجب لي وطهرني من جميع خطايا ابليس فإن لك الملك والقوة والمجد والعظمة والسلطان والكرامة والخلاص من الآن وكل أوان وإلى دهر الدهرين آمين .

† † † † †

الفصل الثاني

حياة القديس الأنبا شنوده

حياة القديس الأنبا شنوده

مولده ونشأته

ولد في شندويل في اقليم اخميم سنة ٣٣٣م . وكان أبوه مزارعا له قطيع عظيم عهد به الى ابنه شنوده ، وكان الطفل منذ نعومة أظفاره محبا للفقراء والمساكين فكان يعطي طعامه للرعاة ويمضي أغلب وقته في الخلاء في الصلاة ، ولما اكتشف والده ميوله المقدسة وأراد تنميتها أرسله عند خاله الأنبا بيجول وكان رئيسا لدير الأبيض ، وقال له والده (شنوده) : « بارك هذا الصبي » لكن الأنبا بيجول أخذ يد الصبي ووضعها على رأسه قائلا : « أنا الذي يجب أن أنال البركة منه » .

نشأ شنوده نشأة صالحة وأرضع لبان الفداسة منذ طفولته وتربى في أحضان الدير وكنيسته منذ كان يتردد على خاله ، فلما أرسله أبوه اليه اعتنى بتربيته تربية خاصة ، ومن معاشرته للرهبان الاتقياء أخذ عنهم الكثير من الفضائل وفاقهم في الزهد ، واستمر في دير خاله زمانا عاكفا على الصوم والصلاة ودرس الكتاب المقدس حتى حفظ قسما كبيراً من العهدين القديم والجديد .

ولما تنيح خاله بيجـــول خلفه ابن اخته وكان ذلك سنة ٣٨٣ م .

رئاسة الأنبا شنوده الأرشمندريت

ذكر Evetts فى كتابه كنائس وأديرة مصر سنة ١٨٩٥ ، ص ٢٣٧ أن ارشمندريت كلمة يونانية معناها رئيس الرؤســـاء Superior of the Superiors . وذكر كتاب قصـــة الكنيسة القبطية ص ٤٣٦ أنه كان لمجموعة أديرة الأنبا شنوده رئيس أعلى لقب منذ القرن الخامس بالأرشمندريت ، وكان هو ووكيله مسئولين عن إدارة الدير الرئيسى والأديرة الفرعيـــة التابعة له ، وكان لكل دير فرعى مشرف مسئول عن تنظيم الأعمال اليدوية فيه . أما القيادة الروحية فكان الرئيس الأعلى مسئولا عنها بنفسه فى كل الأديرة التابعة له . ولكى يؤدى هذا الواجب العظيم كان يعقد أربعة اجتماعات سنوية يحضرها جميع الرهبان وكان المتوحدون يحضرونها أيضا » .

اتسع نطاق الرهبنة فى عهده بعد أن تقلد رئاسة الرهبـــان بفضل سهره فى الرعاية ليل نهار جاداً لرفع شأن أديرته وتنظيم أمورها فى مختلف النواحى ، فبعد أن كان هناك عشرات من

الرهبان فى عهد خاله إذ بهذا العدد يقفز ويتكاثر حتى يصل الى بضعة آلاف ، وهناك فى المنطقة غربى سوهاج كان الديران الابيض والاحمر (١) . وكان الدير الابيض يضم ٢٢٠٠ راهبا والدير الاحـــمر ١٨٠٠ راهبا . ويسمى الدير الابيض بدير الأنبا شنوده والدير الاحمر الذى يقع بجواره بدير الأنبا بيشوى عدا أديرة الراهبات .

وكان رهبان الدير الابيض هم وحدهم المتعلمون بين طبقات الفلاحين ورجال الدين أنفسهم ، وكان بينهم الاطباء أيضا .

ولا يزال هذان الديران قائمين للآن يؤمهما خلق كثير فى عيد القديس الأنبا شنوده . وما المساحة التى يشغلها كل من البنائين وهما عبارة عن كنيستى الديرين فقط الا جزءا يسيرا من الديرين الاصليين .

وكان كل من يلتحق بالدير يأخذ على نفسه التعهد الآتى :

« أتعهد أمام الله فى هذا المكان المقـــدس ، وتشهد على

(١) الدير الابيض إشارة الى أن مبانيه بالحجر الابيض والاحمر مبانيه من الطوب الاحمر .

الكلمات التى تخرج من فمى ، انى لن أدنس جسدى بأية وسيلة ولن أسرق ولن أشهد زوراً ولن أكذب ولن أباشر بأية طريقة أعمال الغش فى الخفاء ...» .

وكان على كل طالب للرهبنة أن يقيم مدة من الزمان خارج أسوار الدير تحت الاختبار قبل أن يندمج فى صفوف الرهبان ويخضع لقوانين الرهبنة وبعدها يقبل فى الدير (١) .

ولم يوجه أحد من المؤرخين عنايته الى الدير الاحمر القريب من الدير الابيض والذى يبعد بمقدار ثلاثة كيلومترات ، وقد ذكرت مجلة الكرمة (١/٢/١٩٣١) أنه رغم أهمية الديرين الابيض والاحمر فى الزمن الغابر فإنه لم يعتل أحد منهما الى الكرسى البطريركى ، كما أنه لم يرد ذكرهما كثيرا فى تاريخ

(١) فترة الاختبار ضرورية جداً قبل الاندماج فى سلك الرهبنة ، وحسب ما تقضى به قوانين الرهبنة القديمة كانت فترة الاختبار ثلاث سنوات (راجع أيضا كتاب قسمة الراهب) - غير أن المجمع المقدس المنعقد سنة ١٩٢٨م . خفض هذه المدة الى سنة - ويجوز انقاصها إن ثبتت أهلية الطالب للرهبنة وروى ذلك بالنسبة لتاريخ الشخص الذى تقدم للرهبنة .

البطاركة كأديرة وادى النطرون وديرى انطونيوس وبولا وغيرهما .

والدير الاحمر على اسم الانبا بيشوى صاحب الدير الشهير باسمه فى وادى النطرون .

ومفتاحا الديرين الابيض والاحمر مصنوعان من البرونز ومحفوظان بالمتحف المصرى وطول المفتاح الاول ٤٤ سم وعليه بالقبطية اسم الانبا شنوده وطول الآخر ٣٥ سم .

الدير الأحمر من الخارج

وانتشرت فى الرقعة الواقعة بين هذين الديرين فى الزمن الغابر أديرة صغيرة عفت آثارها .

والدير الاحمر كالابيض مبنى على طراز واحد وفى عصر واحد ويشبهه فى كثير من آثاره .

قـــوانين الدير وانظمته

رسم طريقة الرهبنة فى ديره وعلاقته بحكام عصره وعالج شئون الدير وحقه على الرهبـــان ودعاهم الى التقوى وحفظ الوصايا وبذل الخير عن فطرة سليمة ونية صافية فى غير غش فى السر والعلانية .

وضع القديس الأنبا شنوده قوانين كثيرة غاية فى الصرامة لرهبانه الذين كانوا كلهم من الاقبـــاط - بخلاف الاديرة الباخومية التى كان يقصدها الجميع ، وقد جمع نظام أديرته بين الشركة داخل الدير والتوحد خارجه ، وكانت آداب الدير كلها دينية بحتة .

وقد اهتم بأمور العبادة فنظم لرهبانه أوقات الصلاة الجماعية والصلوات الخاصة واهتم اهتماما بالغا بحضور القداسات وأدخل

نظاما فريدا إذ كان يفتح أبواب الدير للشعب لنوال بركة القداسات ، مساء السبت الى الأحد - ثم يأمر الرهبان أن يعدوا موائد الغذاء للشعب قبل الإنصراف وكان يهدف أيضا الى أن يكون الدير مركز اشعاع وتعليم فيأخذ الشعب من نبع التعاليم الصحيحة ويقتفع بنصائحه وعظاته الملتهبة حماسا وقوة ، وكان ينبه الشعب الى العادات الوثنية والجهالات التى كانت متفشية فى ذلك الزمان ، وتذكر عنه القصة التالية :

« بينما كان الأنبا شنوده ذات يوم جالسا مع قوم جاءوا لزيارته وإذا بغراب وقف على حائط بالقرب منهم وصاح فتطلع أحد الجلوس بجوار أبينا الى الغراب وقال : « أبشرك بشارة يا غراب » ؟ فتنهد الأنبا شنوده وقال : يا للجهالة التى تغلبت على بنى البشر ، من أين يعرف الغراب هذه البشارة . . لا تضع فى قلبك هذا الأمر ان تنصت للطائر مرة أخرى ، إنه يصرخ الى الرب ليهيء له طعامه . أما سمعت المرتل داود يقول : « المعطى البهائم طعامها ولفراخ الغربان قوتا . . » لأن كثيرا من الناس يتفاءلون بصوت الطيور والشمس والقمر والنجوم وهذه جميعها عبادة أوثان رديئة . . » .

لم تفت القديس ناحية التعليم كما سبق أن أشرنا فاهتم به أيما اهتمام وأنشأ مدرستين ملحقتين بالدير الابيض (١) . كما اهتم بالعمل اليدوى أيضا ـ هذا الى جانب تدقيقه فى ممارسة الاصوام فى طهارة ونقاء وقد كان هو نفسه خير قدوة ومثال فى حياة التقشف والزهد والنسك .

وخلاف الاديرة الفرعية التى كانت قرب الديرين فقد كان فى أيامه نظام التوحـــد والعزلة فى المغائر للآباء المتقدمين بعد التصريح لهم بذلك ـ وهذا لم يكن يمنع من أن يحضـــروا الاجتماعات الاربعة المقـــررة سنويا والتى كان يرأسها رئيس المتوحدين الأنبا شنوده .

لقد كان الأنبا شنوده منذ صباه محبا للعزلة وكان يختفى من وقت لآخر فى قلب الصحراء ، ولما كان رئيسا للمتوحدين كان يختفى كثيرا فى جهات نائية بعيدا عن أعين الناس ليستغرق فى

(١) هكذا كان شأن الكنيسة فى القرون الاولى حيث كانت الاديرة معاهد للعلم يتخرج فيها فطاحل القديسين العلماء ، وكانت المدارس تلحق بالكنائس والاديرة ، والى عهد قريب كانت هناك بعض المدارس ملحقة بالكنائس .

الصلاة والتأمل وطلب المعونة والإرشاد من الله حيث لا يشغله شاغل ـ وحدث مرة انه اعتزل خمس سنوات كاملة . وكان تلميذه المحبوب الانبا ويصـــا بصعوبة يستطيع أن يقطع عليه خلوته للتحدث اليه فى الامور الهامة ـ ولهذا فإنه يلقب دائما برئيس المتوحدين .

لقد كان حزمه وحسن إدارته فضلا عن عظيم قداسته ومحبته من الاسباب التى جذبت الكثيرين الى الرهبنة حتى كان عدد الرهبان بالالوف ، والا إذا كان قاسيا وصارما لاقصى الحدود كما يتوهم البعض فكيف نمت الرهبنة فى أيامه إذن وإزدهرت والتف حوله هؤلاء الالوف ؟! . انه على العكس كان مثالا للقائد الساهر المحب ، يعطف على مواطنيه ويستميت فى الدفاع عن المظلومين ، حيا تأكل الغيرة قلبه كما بنار ، ـ حزم مع محبة وشدة مع اخلاص ورفق ـ وتروى عنه القصة التالية : (١) .

« حدث ان اغارت احدى القبائل على بعض قرى الصعيد فى منطقة اخميم فقتلوا ونهبوا وسلبوا ثم اقتادوا ما بقى من أهالى تلك القرى الى الاسر ، وما أن سمع الانبا شنوده بما حدث حتى

(١) عن كتاب قصة الكنيسة القبطية ص ٤٤٠ .

سارع الى مقابلة رؤساء تلك القبائل وقال لهم : « احتفظوا بكل الاسلاب والغنائم وهبوني الاسرى » فرافقهم كلماته وسلموه الناس الذين أسروهم فأخذهم فرحا واجتاز بهم النيل الى أن أوصلهم الى ديره الابيض حيث استضافهم ثلاثة شهور ووكل لكل جماعة من الرهبان عمل لحمل سبعة رهبان أطباء الجرحى من بين المجموع ووضعوهم فى المكان المخصص للمرضى فى الدير وسهروا على رعايتهم ، وفى الوقت عينه اهتم غيرهم من الرهبان بالشيوخ والاطفال .. » .

كان عنيفا فى مناقشاته فى الوقت الذى ينبغى أن تكون فيه الشدة ، صارما فى دفاعه عن الحق وعن دقائق الإيمان المسيحى فى الاوقات التى ينبغى أن يرتفع فيها صوته كالاسد ، فصيحا غيورا على الكنيسة - فى معرفة وحكمة - يهتدى برأيه الكثيرون فى المشاكل الكبرى ، التقوى دأبه والإيمان يملأ قلبه .

ومن أجل هذا نرى أن القديس كيرلس الكبير البطريرك الاسكندرى (٤١٢ - ٤٣٥ م) الذى كانت تحت رئاسته مائة أسقفية (١) ، لما انطلق الى مجمع افسس سنة ٤٣١ م لدحض

(١) صفحة فى تاريخ القبط ص ٢٩ .

بدعة نسطور اختار قديسنا العظيم الانبا شنوده للسفر معه .

انطلاق القديس الى مجمع افسس سنة ٤٣١ م

من وظيفة الراهب صرف العمر كله صوما وصلاة ونسكا واطلاعا فى الكتب المقدسة والسكنى فى الاديرة فى الصحارى والجبال ، إلا أنه إذا دعت ضرورة ملحة وطرأت أمور خطيرة نتيجة للبدع والهرطقات أوالإضطهادات أو ما أشبه كان الرهبان والمتوحدون منهم ، يخرجون عن عزلتهم وينطلقون الى العالم ، فقد انطلق القديس انطونيوس مرتين الى الاسكندرية : فى سنة ٣١١ م . لما طرق سمعه خبر ثورة الإضطهاد الذى أضرمه مكسيميان فيصر أسرع مع نفر من رهبانه الى الاسكندرية وكان يعزى المسجونين ويشترك معهم فى الصلوات ويثبت ايمانهم ليصبروا على كل ضيق حتى الموت ، وكان بنفسه يطلب أن يؤهله الرب لنيل اكليل الشهادة ، وان الحاكم وقتئذ حالما وقع نظره عليه أعجب بشهامته ، ولما هدأت الإضطهادات عاد الى ديره .

ولم يمض بعد ذلك وقت طويل حتى اشتد اضطهاد الاريوسيين على الارثوذكسيين فأرسل اليه البابا اثناسيوس

الرسول البطريرك ٣٠ يطلب منه أن يأتى للاسكندرية ويقاوم معه بدعة أريوس الذى كان يريد أن يمزق الإيمان المسيحى ، والذى انعقد بسببه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م . الذى كان مكونا من ٣١٨ أسقفا .

لبى القديس انطونيوس دعوة الآب البطريرك اثناسيوس الرسـولى .

وهكذا نرى قديسنا الكبير الانبا شنوده يلبى دعوة الآب البطريرك كيرلس الكبير عامود الدين وينطلق معه الى افسس لمقاومة بدعة نسطور- تاركا أديرته ورهبانه لرسالة خطيرة هامة عليه اداؤها .

وتذكر المخطوطة القبطية ما يأتى : (١) .

---

(١) نشر الرسالة بالقبطية ، مالون ، ص ٣٦ ، ٣٧ فى كتابه

. Grammaire Copte .

Ⲁⲛⲟⲕ ⲇⲉ ⲛⲉⲛ ⲁⲛⲁ ⲅⲉⲛⲟⲩⲧ ⲛⲉⲙ ⲁⲛⲁ ⲥⲓⲕⲧⲱⲣ ⲡⲓⲁⲣⲭⲓⲙⲁⲛⲇⲣⲓⲧⲏⲥ ⲛⲧⲉ ⲧⲁⲃⲉⲛⲛⲏⲥⲓ ⲉⲛⲁⲛⲧⲁⲗⲱⲧⲛ ⲉ ⲟⲩⲕⲟⲓ ⲛⲟⲩⲙⲛ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲙⲡⲉⲣⲛⲟⲩ ⲉⲣⲉⲡⲥⲙⲁ ⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁⲥⲧⲓⲕⲟⲛⲡⲟⲗⲓⲥ ⲟⲩⲟⲉ ⲛⲉⲙⲁⲛ ⲛ̀ⲛⲓⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲓⲟⲙ ⲁⲛⲁⲙⲟⲛⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁⲥⲧⲓⲕⲟⲛⲡⲟⲗⲓⲥ.

الترجمـــة : (١) .

« وحدث فى ذلك الزمان أن الملك ثيؤدوسيوس أرسل لى وأنا بدورى أرســلت الى القديس النبى الانبا شنوده رئيس المتوحدين وأبينا أنبا بقطر رئيس المتوحدين التابسى ، وهكذا

---

(١) للمؤلف .

انطلقنا لكى نقطع لسطور المنافق ، وكان معنا كثيرون من أساقفة مصر .

أما أنا وأنبا شنوده وأنبا بقطر التبايسى فقد ركبنا سفينة واحدة معا قاصدين القسطنطينية ، وباقى الاساقفة ركبوا جميعا سفينة أخرى ، وبعد ما عبرنا البحر رسونا فى القسطنطينية . . .

ثم يقول . « وانى والانبا شنوده انتظرنا فى المدينة حتى يحضر باقى الاساقفة لنمضى الى افسس (١) .

---

(١) مجمع افسس الاول سنة ٤٣١ م . هو المجمع المسكونى الثالث، اجتمع بأمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير وحضره ٢٠٠ أسقف برياسة كيرلس الكبير بسبب بدعة لسطور أسقف القسطنطينية الذى أنكر لاهوت السيد المسيح وعلم بأن السيدة العذراء ليست والدة الإله بل والدة المسيح الإنسان ، فكتب الى لسطور اعلان هذه صورته :

« من المجمع المقدس الملتئم فى أفسس برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملكنا المجرب العابد الحسن الديانة الى لسطور يهوذا الثانى. اعلم أنه لاجل تعاليك الاثيمة النفاقية وعصيانك =

وهكذا نستطيع أن نتبين بسهولة مركز الأنبا شنوده فى ذلك الزمان وغزارة علمه ومقدرته اللاهوتية ومواقفه الخطيرة التاريخية الخالدة على مر الأزمان .

لم يكن للقديس رتبة كهنوتية وقيل أن لسطور المنافق احتج هو وأنصاره على السماح لراهب بالدخول فى مجمع الأساقفة ثم سأل القديس قاصداً الاستهزاء به من أنت ؟ فأجابه الأنبا شنوده فى قوة ، ألا تعلم من أنا ؟ « أنا رجل أرسله الله ليزيح النقاب عن شروركَ . ويطلب لك القصاص على خطاياك وغرورك » ، وحالما سمع لسطور هذه الكلمات خر على الأرض كمن أصابه صرع - وقيل أن البابا كيرلس فى تلك الآونة رقى الأنبا شنوده

= على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع بموجب قوانين الشرائع الكنسية وحكم عليك بالفرز من كل درجة وعدم تقلد أية وظيفة والإبتعاد عن كل خدمة كنسية » .

وحكم المجمع بحرم هذه البدعة كما وضع مقدمة قانون الإيمان وهى « نعظمك يا أم النور .. » .

إلى الدرجة الكهنوتية التى تخول له الحضور فى مجمع الاساقفة (١) ، وبعد انتهاء المجمع عاد الأنبا شنوده الى رهبانه .

رسامته كاهنا

لم تذكر المراجع التى اطلعنا عليها شيئا عن رسامته كاهنا ، لكننا لاحظنا من الاطلاع على كتاب Scriptores Coptici الذى أشرنا اليه فى الصحيفة ١٢ أنه ورد فى المديح الخاص بالقديس - المنشور أيضا فى كتاب الإبصاليات سنة ١٩١٣ - « القديس الأنبا شنوده الكاهن (بى آريب) » .

ويبدو أن القديس كيرلس الكبير رفعه الى رتبة الكهنوت فى تلك الآونة ليتمكن من مواصلة الدفاع عن الإيمان ضد نسطور . تعرف الآن كيف كان التدقيق فى الرقيمة للكهنوت .

وفضلا عن أنه حضر هذا المجمع وجاهد فيه جهاد الأبطال فإنه ظل يكافح فى أحرج الأوقات الى يوم تياحته ، فلما انعقد

(١) كتاب تاريخ الكنيسة لمنسى يوحنا ص ٣٢٦ .

بمجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م . كان فى حياته (١) ، ورقد فى الرب فى عام ٤٥١م. فى نفس السنة التى انعقد فيها مجمع خلقيدونية الذى لا تعترف به كنيستنا القبطية .

كانت حياته الطويلة سلسلة كفاح وجهاد وقوة فائقة فى الدفاع عن الحق ، له مواقفه القومية البحتة ، الأمر الذى لم يرق فى نظر البعض فتعمدوا اهمال الكتابة عنه ونشر مؤلفاته ، ويزعم بعض المؤرخين الأجانب (د . أوليرى) أن صرامته تعيبه إذ يقول :

• Such violence was his chief defect . His own writings show that he was guilty of violence in speech and act .. . .

(١) هو المجمع المسكونى الرابع المنعقد سنة ٤٤٩ م . بأمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير وحضره ١٥٠ أسقفا برياسة ديسقورس بابا الاسكندرية ، وفيه تقرر قطع فلابيانوس أسقف القسطنطينية النسطورى المذهب .

مؤلفات القديس (١)

كان القديس العظيم الأنبا شنوده كثير الانتاج ، بليغاً في خطبه عنيفا في عظاته وترك مجموعات وافرة من التفاسير والعظات والميامر وكلها وسعت جوانب متعددة من الثقافة والتوجيه الديني والإرشادات .

في كتاباته الكثير من الصور الرائعة التي تضفي على كلامه قوة وتأثيراً يستمد من روحه القارىء ويقبس من أدبه الغزير وخطبه ورسائله ووصاياه ، وكان أكبر الخطباء في عصره ، ممتازاً في درس وحفظ وشرح الكتاب المقدس ، كان يحفظ عن ظهر قلب جزءا كبيراً من العهدين القديم والجديد ولذلك كان يقتبس كثيرا من محفوظاته .

بذل مجهوداً كبيراً في محاربة الوثنية واقتلاع جذورخرافاتها من الكنيسة مثل السحر والتعاويذ والدجل الطبي والبدع الاجتماعية المختلفة ، وجاءت خطبه مرآة صادقة لحياته ، وتصور لنا مواعظه الثمينة بعض مثله أصدق تصوير .

---

(١) راجع كتابنا « مقتطفات من عظات التوبة » للقديس العظيم الأنبا شنوده .

له مؤلفات هامة لا يستطاع حصرها باللغة القبطية باللهجة الصعيدية ، وقد قام العلامة E. Amélineau بنشر بعض أقوال له كما نشر البعض الآخر علماء الآثار D. Crum و Zoega و Maspero ... الخ .

وقد نشرنا لك ايها القارىء العزيز مقتطفات من عظاته على التوبة (ظهر حديثا الجزء الأول منه) .

وما نشر إن هو إلا نقطة من بحر مقالاته ، لأن عظات ومقالات القديس بصرف النظر عما فقد وعن الموجود بمتاحف الخارج ، إذا اكتفينا بمجموعة Morgan بالمتحف القبطي ، تملأ مجلدات ضخمة ، خصوصا وانه عمر طويلا ١١٨ سنة وقضى في رياسة الاديرة ٦٦ عاما كلها جهاد وكفاح وتعليم وإرشاد وتأليف .

نياحة القديس

قد وجدنا في كتاب

Contribution *à* l'étude de la Littérature Arabe-Copte, M. Emile Galtier.

Extrait du Bulletin de l' Institut Francais D' Archéologie Orientale, L. IV, 1905.

نصا لمخطوطة يرجع تاريخها الى ٢٥ أمشير ١٠٧٢ (١٣٥٦م) (١) تتضمن نهاية حياته نفسها بايجاز .

« وهوذا قد شرحت لكم أجزاء يسيرة من عجائب وفضائل أبينا القديس التي أبا شنوده ـ واضع الناموس الرسولي ، البتول الارشمندريت عديل الملائكة المعلم الحسن ـ التي اجراها الله على يديه وشاهدتها بنفسي .. أنا ويصا تليذ الشيخ الطاهر ».

« بعد هذا طعن أبي في أيامه ولزم فراش موته في أول يوم من شهر أبيب .

فوافى اليه السيد المسيح بالليل .. فقال له أبي « يا ربي والهي اطلب اليك أن تقويني كي انطلق الى المجمع إذ أن البطريرك الطاهر أرسل يستدعيني لكي أقاوم المراطقة الذين يجدفون على

(١) ان هذه المخطوطة نسخت في القرن الرابع عشر ويبدو أن ذلك كان بعد فترة وجيزة من ترجمة سيرة القديس للعربية .

الثالوث المقدس .. أجابه السيد ياصفي شنوده أتريد عمراً آخر بعد هذا العمر الطويل (١٠٩ سنة وشهران) (١) ، وذلك انك لبست الاسكيم الملائكي وانت في تسع سنوات ولك أكثر من ١٠٠ سنة مذ صرت راهباً ، وتمام السابع من شهر أبيب هو يوم مقدس ، هلم الى مكان الراحة لتتنيح إلى الأبد ..

ثم أن القديس اشتهى قليلا من بقل مسلوق فطبخته وقدمته له فقال لي ابقه فوق السطح حتى أقول لك ففعلت حسب قوله ، وفي ثالث يوم مرضه قال لي امض احضر البقل فأحضرته اليه وكان قد انتن ، فابتدأ يعنف نفسه قائلا يا نفسي كلي ما اشتهيتيه ولم يذقه ، فأخذته وطرحته ، وأخذ المرض يشتد على القديس حتى بلغ إلى سادس يوم من شهر أبيب فاستدعى أولاده وقال لهم: انا استودعكم لله يا أولادي الاحباء هوذا مشيئة الله اقتضت أن أرحل من هذا المنزل ، اسمعوا من أبيكم ويصا لانه هو الذي يكون لكم أب وراع .. وفي اليوم السابع من شهر أبيب ثقل

(١) ثابت أن القديس الأنبا شنوده تنيح سنة ٤٥١ م : أما تاريخ ميلاده فالمرجح انه كان سنة ٣٣٣ م . أي أنه عاش ١١٨ سنة كما اثبتت اغلب المصادر

المرض عليه جدا واسلم روحه الطاهرة فى السادسة من النهار(١).

كنائس باسم القديس

توجد كنائس كثيرة باسمه فى أغلب محافظات الوجه القبلى، وكنيسة بالقبارى بالاسكندرية كما توجد بمصر القديمة أقدم كنيسة بنيت على اسمه ويرجع تاريخها الى القرن الخامس ، ذكر تاريخ البطاركة عنها أن الاساقفة والإكليروس والشعب اجتمعوا فيها سنة ٧٤٣م. لاختيار البطريرك الجديد . جددت عمارتها مرارا عديدة احـــداها فى أيام البطريرك ٨٢ الأنبا بنيامين الثانى (١٣٢٧ - ١٣٣٩ م) ، ومن حوالى ربع قرن تقريبا قامت لجنة حفظ الآثار بإعادة الترميم .

---

(١) من هذه القصة يتبين لنا بوضوح شدة نسك القديس وتقشفه حتى وهو فى مرض الموت (١١٨ سنة) فقد كان شديد الصرامة على نفسه قبل أن يكون صارما على الناس ، وهكذا كانت أعماله مطابقة لعظـــاته .

كنيسة الأنبا شنوده بمصر القديمة

أما عن عجائبه ومعجزاته حتى بعد نياحته فهى كثيرة وتعيد له الكنيسة فى اليوم السابع من أبيب . وتذكر اســـمه فى جميع القسحة وبجمع القداس دائما مع الأنبا وبصـــا تلميذه بركة صلواتهما تكون معنا آمين .

صلاة للقديس (١)

الله رب الفضائل الرحوم أنت الذى تعرف ما نحتاج اليه قبل أن نطلبه الذى بدونه لا نستطيع أن نفعل شيئا . افتح قلب كل نفس بشربة ترجوك لكى تعرف خطأ هذا الروح النجس ، الشيطان الذى سقط من السماء مثل برق حسب كلمتك الحق . اعطنا قوة معرفة ألاعيبه المكرة لكى ندوسه باقدامنا ، وندوس أيضا كل قوته ، لانك صيرته ضعيفا على الصليب ، ورفضته وجعلته مثل جثة يابسة للذين يفكرون ولا يستصعبون الإزدراء به وبكل شروره والضحك عليه فى عدم قدرته التى كسرتها فيه . أعن خرافك ايها الراعى المبارك يسوع المخلص واحفظها من هذا الملاك الذى أصبح حيوانا مفترسا وجعل من جمع من الارواح أشكال حيوانات متوحشة دون أن يكفيه كل الذين لم يعرفوك حتى يشبع من خسارتهم ولكنه يتجاسر أيضا ضد الذين لايعرفون إلها آخر سواك ايها المسيح الله .. أنت أنت لايوجد

---

(١) ترجمناها عن Œuvres de Schenoudi E. Amelineau .

إله آخر غيرك ، انت لم تتكلم فى الخفاء ولا فى مكان مختبىء ومظلم .. أنت أنت الرب الذى يقول العدل ويتكلم الحق ، أنت الله ولايوجد إله آخر غيرك عادل ومخلص . . أنت الذى تتكلم فى الذين لك .. أنت الذى تثبت الذين يحبونك بتعليمك الكامل وفوق كل شىء بيمينك الحقيقية حتى لايتنجسوا بأشكال أو تقاليد عبدة الاوثان والعادات الشيطانية ، هب لهم أن يتطهروا ويغتسلوا من الاوزار كلية طالما أن الوقت وقت الغفران - ولما يأت بعد وقت لايكون فيه غفران . . . . آمين ؟

† † † † †

القراءات الكنسية

١ – الذكصولوجيات

زمن تأليف الذكصولوجيات لا يمكن تحديده ولكن ينبغي أن يكون معلوما أن كثيرا من الذكصولوجيات (تمجيدات) في الكنيسة القبطية المستعملة في الوقت الحالي كانت موجودة باللهجة الصعيدية في القرن التاسع كما يؤخذ من بعض النصوص الواردة في مجموعة « Morgan » والتي يرجع تاريخ بعضها الى سنة ٦٠٩ ش - ٨٩٣ م - ومن ضمن ما ورد في هذه المجموعة بعض الذكصولوجيات لم تنشر وهي في المجلدين ١٣، ١٤ والبعض الآخر نشر في كتاب الإبصلمودية السنوية ، والمجلد ١٣ عنوانه « كتاب التفاسير المقدسة » .

لكن لم يستدل على ذكصولوجيات للقديس فقط وجد له تمجيد في كتاب التماجيد المقدسة طبعة سنة ١٩٢٢ (من ص ٢٥٤ - ٢٥٦) (١) .

(١) راجع العدد ٦ من مجلة الجمعية الأثرية القبطية سنة ١٩٤٠ من ص ١٩ - ٧٦ .

٢ – الطروحات

تبين أن للقديس طروحات واطس وآدم تقرأ في عيده ، وقد أشارت مجلة الجمعية الأثرية القبطية في العدد ٥ لسنة ١٩٣٩ ص ٨٩ إلى ذلك وقد أوضحت المجلة بيان الطروحات من ص ٨٦ - ١٥٧ عن المراجع : مخطوطات ٣١٦ ، ٣٢١ طقس بالمتحف القبطي ، ومخطوطة كنيسة العذراء قصرية الريحان من بشنس الى مسرى وأيام النسى ، وعن كتاب الدفنسار للكنيسة القبطية د . أوليري الأجزاء من ١ - ٣ .

٣ – الإبصاليات

أشرنا اليها في كتابنا ، مقتطفات من عظات التوبة للقديس الأنبا شنوده ، ص ١٢ عن كتاب Scriptores Coptici . وبه ابصاليتان واطس وابصاليتان آدم :

الواطس من ص ٢٢٦ - ٢٣٠ ومن ٢٣٤ - ٢٣٨ .

الآدام من ص ٢٣٠ - ٢٣٣ ومن ٢٣٨ - ٢٤٢ .

وقد نشر كتاب الإبصاليات طبعة سنة ١٩١٣ ابصالية

واطس واحدة (١) ، من ص ٢٥٣ - ٢٥٩ وابصالية آدام من ص ٢٥٩ - ٢٦٤ وبنهاية هذه الإبصالية ورد ذكر مؤلفها « نيقوديموس » فى الربع الاخير .

وبمراجعة هذه الإبصالية الآدام على الإبصالية الواردة بكتاب .. Scriptores وجد أن الواردة فى الكتاب المذكور ينقصها الربع المبتدى، بحرف Z فقد ذكر فى الحاشية ص٢٣٠:

« Versus Z Omissus est » .

لكن صار تكملتها فى كتاب الإبصاليات المطبوع سنة ١٩١٢ (انظر ص ٢٦٠) .

ان احدى الإبصاليات الآدام من تأليف « نيقوديموس » أما الثانية التى انفرد بنشرها كتاب .. Scriptores فمن تأليف « غبريال الشماس » كما يظهر ذلك من الربع الاخير فى كل إبصالية .

---

(١) يلاحظ أنه فى هذه الإبصالية ص ٢٥٣ فى الربع الثالث ذكر اسم شنوده العظيم « الكاهن » .

وقد لاحظنا من الإطلاع - بصفة عامة - على الإبصاليات الخاصة بالأعياد السيدية والشهداء والقديسين أن معظمها من تأليف « نيقوديموس » الذى كتب أكثر من ٤ إبصالية وذكر اسمه فى آخر كل إبصالية كعادته .

تاريخ هذه القراءات

لايعرف تاريخ هـذه القراءات على وجه التحديد لكن من الثابت أن القراءات الدينية العربية ترجع الى القرن الثالث عشر تقريبا حيث بدأت حركة ترجمة المؤلفات الى العربية .

ونود أن نشير الى ما ذكره الدكتور مراد كامل حيث قال :(١) .

« .. كانت اللغة القبطيـة فى مصر هى لغة الكنيسة ولم تستخدم العربية كلغة دينية فيها إلا من القرن الثالث عشر الميلادى فكان من الطبيعى أن تكون أقدم المخطوطات العربية الدينية التى يعثر عليها مكتوبة فى مصر لا ترجع الى ما قبل القرن الثالث عشر الا فيما ندر .

---

(١) جريدة وطنى ١٩٦٦/٦/١٩ .

وبدأت ترجمـــة الكتاب المقدس الى العربية فى مصر
القرن الثالث عشر .. »

ونكتفى بالإشارة الى هذه القراءات دون تسجيلها كما
نكتفى بالقدر الضئيل الذى ذكر عن ســـيرة القديس فى
الكنيسة .

وتعيد له الكنيسة فى يوم أول كيهك تذكار تذكريس كيه
ويوم ٧ أبيب تذكار نياحته بركة صلواته تكون معنا آمين .

† † † † †

ظهر حديثا

الجـــزء الأول

من كتاب « مقتطفات من عظات التوبة »

للقديس العظيم الأنبا شنوده

عن أقدم الوثائق باللغة القبطية

الفصل الثالث

مقتطفات من عظات التوبة

للقديس العظيم الأنبا شنوده

عن متفرقات من العظات ووضعنا لها عناوين جانبية .

« .. إرجعوا إرجعوا عن طريقكم الرديئة »
حز ٣٣ : ١١ .

.. تب (١) أيها الإنسان يا من تعصى ربك وتظن أن الله يعفو عنك ، كلا .. لن يعفـــو عنك إذا لم تتب ؛ فالذنوب التى

تلازمنا هى التى نظن عنها أن أحداً من الناس لا يعـــرف انك صانعها ـ لكن جميعها تتمثل قدامك يوم الدين وحكم الله العظيم وجميع أفعال المكر على اختلاف معانيها تعلن وتشهر يوم يدين الله سائر الناس ويكشف خفايا الظلام .

حسبما قال النبى : المشيب ينذرنا ونحن لا ندرى . وتأويل ذلك أننا نقترف ذنوبا كثيرة ونحن عنها غافلون كأنها ليست ذنوب ، وبالتحقيق هى أعظم الذنوب ، خصوصا تلك التى نفعلها فى الخفاء ، وعين الله ناظرة اليها ، ونحن نحسب أنها ليست ذنوبا وما تندم أو تتوب عنها ـ إنما الذنوب التى تعرف الناس بها إذا

1- Scriptores Coptici, Series Secunda — Tomus V, Sinuthi, Opera IV.

صنعناها هذه فقط نحسبها ذنوب ونخجل إذ قد فعلناها ، هذه هى خصال المرائين ، الذين يدركهم الحزن والغم إذا ما اطلع الناس على أعمالهم وشهرت أفعالهم ، حينئذ يستحون (من الناس) ولا يخافون من الرب يسوع ، فعلى هذا الحال جميع من كانت قلوبهم راضية بالذنوب ليس لهم إله إلا الناس .

تعساء هم أولئك الذين يعيشون بينكم ولم يصبحوا بعد غرباء عن صداقة قوات الظلام ويشتركون فى أعمال الظلمة .

طوبى لمن لم ينحلوا عن صـــداقتهم مع ملائكة النور وقد وطدوا علاقتهم بهم فيشتركون فى أعمالهم النورانية ويسيرون كأبناء النور . إنهم يثمرون ثمار النور فى كل عمل صـــالح فى العدل والحق

« زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم .. » ١ بط ٤ : ٣

بالتأكيد قد حان الوقت لكى نستحى من وجـــود الشعر الأبيض أنا وهؤلاء وأولئك ونكف عن عمل ما لا يجب

عـــله بينكم (١) .

أولادكم الصغار أصبحوا شيوخا فى المعرفة ، والفتيـــات الصغيرات أصبحن سيدات ناضجات فى الفكر ، فكم بالحرى شيوخكم وسيداتكم المسنات إذاً إن كان بينكم البعض ليس عندهم المعرفة وليست عندهم العزيمة الى الآن حتى يبتعدوا عن الباطل. فإننا نبدو كحيوانات غير مستحقين لشيء .

إن كثيرين حادوا عن أعمالهم الشريرة دون أن نتعلم نحن أن نفترق عن شرورنا لأننا فى الحقيقة لا نخاف الله ..

« أيها الفريسى الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجها أيضا نقياً »

مت ٢٣ : ٢٦

قال السيد المسيح أنكم تظهرون من الخارج رجالا صالحين

---

(١) وان كان هذا الخطاب يوجهه القديس الأنبا شنوده الى الرهبان والراهبات تحت إدارته إلا أننا نشرناه لفائدته للجميـــع .

لكن داخلكم مملوء غشا وخبثا، فمن ذا الذى يستطيع أن يصف

دلس مابدا خل الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة الذين لم يؤمنوا فى ذلك الزمان بالمسيح ، هل إستعدوا من طهارتهم الخارجية شيئا ؟ أنافعة عبادتهم ؟ أو ماذا كسبوا بصلبهم سيدهم ؟ إنهم الخدام غير المستحقين . كيف تبقى عبادتهم مرفوضة وعبادة أبنائهم بعدهم وكل ما تبقى منها حتى الآن ؟ هؤلاء الذين سقط الدم عليهم ولن يرفع بتوالى الأجيال الى الأبد عنهم .

كل هرطوق مجدف . وكل من يمدحون الذين يفعلون هذه الآثام ويقولون بها ، فإنهم بهذا يجزفون الذى أمرنا قائلا : « تحرزوا من خمير الفريسيين أى « رياؤهم » ... » .

أمثال هؤلاء يوجدون فى الكنيسة وهذا ليس بعجيب . . فالعصافير أيضا كثيرا ما توجد بها . . وإذا كان الهراطقـــة يبسطون أيديهم أو يرفعونها بغش كما لو كانوا يصلون، فالعصافير تفعل ذلك مراراً كثيرة حينما تهبط أجنحتها .

أتقدرون أن تقاوموا الشيطان أيها غير الامناء إن لم يكن لكم درع الإيمان ؟ إنه به تستطيعون أن تطفئوا سهامه .

الويل لكم إذا كنتم لا تدخلون الكنيسة أو كنتم لا تتناولون جسد ودم السيد ، والويل لكم إذا كنتم تدخلونها وتتناولون من السر المقدس ولكم قلبان ، لأن كل أعمالكم باطلة وغير مثمرة ، وقال الكتاب ، باطل هو لكم التبكير ، لتفعلوا ماذا ؟ تنهضون لتعبدوا أو تصلوا إلى آلهة ليست آلهة . من من الذين يصلون لكى يخرجكم الله من خطئكم لا يحزن عليكم إذا كنتم تقومون مبكرين باطلا أو تعبدون باطلا ؟ - ماذا تكسبون إذا كنتم تغشون قلوبكم حتى لا تؤمنوا بالله الذى جبلنا على صورته ومثاله .

إذا (١) كان رب البيت لا يشتهى أن يسكن منزلا ما لم ينظفه أولا من وحله ، فكيف يدخله وهو متهدم .. !! ومعنى هذا إذا كان بعد جهد عظيم يحل يسوع فى الإنسان (المؤمن) ذى الهمة الذى يطهر قلبه كل يوم من الأفكار النجسة والهواجس السقيمة ، فكيف يحل أو يسكن فى جسد إنسان نجس ؟ فى أولئك الذين أفسدت الأرواح النجسة أجسامهم بالخطية ولهم نفوس جاهلة رديئة .

(1) Scriptores Coptici, Sinuthi Opera IV .

الملك تبرر ذاتك إذا تملكت الخطية على جسدك ، ومن أين لك أن تمجد الله بجسدك وهو الذى قد فداك بدمه الزكى .

وإذا كان المتعبدون لبطونهم مرذولين وقد وبخهم الرسول أولا وأخيرا وقال أن أصل قضية آدم هو الأكل ، وحسبما قال أيضا من أجل آخرين انهم بطون بطالة شرهة منهمكة فى اللذات فكم تستحق من التعنيف إذا كنت مستعبدا للأفعال التى سبقت

الشياطين بفعلها .

ليست (١) الطهارة فرضا على الملائكة لأن أرواحهم أطهار بطبعهم ، وإنما كل ما هو حق ، كل عمل العفة ، كل عمل البر وكل عمل الطهارة ، كل عمل صالح وكل بركة ، كل فضيلة وكل كرامة .. هذه جميعها وصايا تخص الناس ، عليهم عملها ويتهذبون بها على الأرض أما النجاسات مع الغواية والضلال والفسق وكل الآثام فهى من الأبالسة .

فكل من يصنع نجاساتهم أو يرتكب أفعالهم الموبقة يكون نظيرهم . أما من يعمل عمل الملائكة فيكون متشبها بهم .

(1) Scriptores Coptici, Sinuthi Opera IV .

كيف تأكل من مائدة الشياطين وتشرب من كأسهم وتطلب أن تدخل ملكوت السموات ..

(رئيس المتوحدين)

نعم ، كيف تفلت من الوجز وانت مخدوع تأكل من مائدة الشياطين وتشرب من كأسهم وتطلب أن تدخـــل ملكوت السموات .. ما هو الذى على مائدتهم وبأى شىء مليئة ما خلا طعام الموت وشرابه .

يا للعجب .. إن الذين يلتفون حولها كثيرون جدا فلا يجد أحد موضعاً يجلس فيه ، هم لا يتناولون ما عليها فقط كسائر البشر بل يتخاطفون ما عليها بنهم وفى غير قناعة ـ وعهدى بمن يتناولون مائدة مليئة بالخيرات انهم يكتفون ويشبعون إذا ما إمتلأت بطونهم ، أما الذين يتناولون من مائدة الشياطين فلا يكتفون ولا يشبعون ، لا يودون أن يتركوا هذه المائدة أو يفارقوها .

فإن كان أحد من النصارى الذين نعتوا باسم يسوع لا يحب أن يكف عن الطعام الذى على مائدة أولئك وعن الذين يتناولون منها نخليق به الوصف الذى وصفته إذ شبههم بالكلاب (الكلبة) والوحـــوش الضارية القذرة التى تأكل من جميع الجيف المنتنة لما يفترسوه .

متى نظن أن نتوب عن المعاصى والذنوب أو نرتجى من يتنبأ له ونتنظر دفعات أخرى من الأنبياء كى ينذرنا أحد منهم أو يسلم أحد ذاته عنا ويموت لأجلنا ؟ أنبى آخر ، أم رسول ، أم إبن الله آت ليعلم الناس أو ليسفك دمه ... ؟

لابد أن جميع القديسين يقومون صحبة ملكهم يسوع حاملين أتعابهم وآلامهم . أما بشمارنا فنحن أهل المقت والإهانة .

كثيرة هى الأقوال والأفعال التى إشتهاها أنبياء كثيرون وملوك وصديقون . إشتهوا أن يروا وان يسمعوا فلم يروا ولم يسمعوا كما قال الرب فى الإنجيل . أما نحن فقد تمتعنا بها وتميزنا بها وبعد ذلك تهاوننا بجميع ما صنعه ربنا ، أترى هل الأقوال والأفعـــال التى تناهت الينا تزيدنا عصيانا حتى لا نكف عن الخطية ؟! حاشا .

لا يمكن لأحد أن يكابر وينكر ، وعيه تلك الأقوال ، ، ولو كنت تميزتها لكنت أنذر على ذاتى من طفولتى انى لا ادنس هيكل الله ولا بيته واتعلم أن اجتنب الظـــلم وجميع رذائل ابليس .

وإنى أقول لكم أنه إذا كان الإنسان يحفظ جسده وقد من أجل الله ، لحفظ جميع الخير يكون له .

كن مؤمنا بارا طاهرا ، فاذا مضيت اليه تشاهد مجد لاهوته وجزيل نعمته وفضله . وإذا كنت تستعذب الاشياء التى تشاهدها على الأرض فكم بالحرى تلك التى فى السموات ، وإذا كنت تعجب من المدن المصنوعة بالأيدى المزخرفة بجميع ما فيها من الحسن ، فكيف يكون عجبك إذا شاهدت أورشليم السمائية وجميع ما فيها وكل زينتها وجميع الاعمال المصنوعة فيها بيد الله هناك لا ثقل جسم ، لا ضعف ولا خطيئة ، فإنك تكون جسدا روحانيا ولا يوجد قبر أو عين تنبع من بئر ، أى لا توجد خطيئة تنبع من صميم القلب لتضادك ، أو شهوة طبيعية تلتهب فى جسدك لا عين ترمق الشهوة ولا فكر سوء لأحد من الناس ، لا أذكر ولا انثى فى ذلك الموضع ، لا عبد ولا حر .. الرجال والنساء يكونون جميعا على حالة واحدة فى ملكوت السموات ، لا معصية .. ولا شيطان فى ذلك الوقت يغوى كما أغوى آدم وحواء فى الفردوس إذ كان لهم الأذن السامع للكلام الردىء الذى هو العصيان ، والعين المشتهية لثمار الشجرة التى نهاهما عنها

الرب يسوع الا يأكلا منها . أما الإنسان فكانت الخطيئة عنده حلوة وأحلى من الطاعة ، فلم يكن أهلا له ولا لخيراته .

توجد طيور كثيرة . لكن النحلة أفضلها . جيد بالتأكيد أن نحب النحل لأنه يعطى تعبه للجميع . وجيد أيضا أن نحب الصديقين لأنهم يسرون الله بكل أعمال الصلاح التى يعملونها وهم أيضا يعطون راحة لأحشاء كل القديسين فى السموات .

جيد أن يعتنى الناس بالنحلة ويسهروا عليها ويقضوا على الحشرات الاخرى التى تحاربها ، وجيد أن يعتنى الملائكة بالمسيحيين الحقيقيين فيسهرون عليهم ، ويضربون العدو الذى يحاربهم ويؤذونه .

جيد أن يحب الناس النحلة لأنها تعطى شهدا حلوا من السماء بقوة السيد ، وجيد أيضا أن يحب الملائكة المسيحى لأنه يقبل فى نفسه الندى الحلو النازل من السماء الذى هو أحلى من كل عسل ، كلمة الله ، الإيمان ، السلام ، المحبة ورجاء كل خير . وإذا كان النحل الصغير يضع خميره فى أى وعاء يجده مهيأ له فكم بالحرى

السيد المسيح فإنه يضع الخمير فى الإنسان الذى يجده مستعدا لوصاياه بكل الطهر والنقاء.

أيها الإنسان أتريد أن تعلم ما فى قرارة نفس من كان غير أمين ذا نفس مضطربة مملوءة من الأرواح النجسة ، راقب مغارات الضبعة ومغارات كل الحيوانات المفترسة وانظر كم هى مملوءة بالعظام من كل نوع ..

بهذا تقفون على أسباب خزيكم . إنى أخاطبكم يا من تحضرون إلى الكنيسة برياء خوفا من الناس ، لأنه من أجلكم قيل : « ملعون من يعمل أعمال الرب بيد مرتخية » .

هوذا زوبعة الرب تخرج بغضب ، نوء جارف ، على رأس الأشرار يثور ..

ارميا ٣٠ : ٢٣

قد (١) أتت الكارثة على الذين لم يفتكروا أن الإنسان هيكل الله ، إذن ماذا يحدث لمن يتجسونه بالرغم من أنهم سمعوا وعلموا أن الإنسان ما هو إلا جسم واحد فى المسيح

(1) Œuvres de Schenoudi, Tome I

١ كو١٢ : ٢٧ . وأيضا أن أعضاء جسمه هو الإنسان أف ٥ : ٣٠ . وقبل أن كل واحد منا عضو ، نحن وزملاؤنا أعضاء ، إنك تقول لاحد أعضائك إبنى وأخى ، وتقول إمرأة لقريبتها « أختى » . وإذ تقول الأم لابنتها أنت ابنتى ، لماذا لا تخجلون أن تخطئوا ضد أنفسكم ؟ ألا تخافون ؟

أما تستحون أمام المسيح أن تجعلوا من أعضائه أعضاء زانية حينما تكون اعضاؤه أعضاءك . كيف لا تخجلون من أن تجعلوا اعضاء أولادكم وبناتكم وإخوتكم أعضاء خطيئة رو ١ : ٢٦ ، ٢٧ .

قلت وأقول أيضا انه من الكفر أن نجعل الإنسان يكشف ما ليس له أن يكشفه وأشد منه حين يقول : « لا يوجد من يعرف » .

هناك إخوة يكرهون التعليم فى حين أنه يوجد من يحبونه ، يكره التعليم من كان يكره أولا مصدره ، لأنه من يحب التعليم ولا يحب أولا من يعلمه إياه ..؟

إن الدينونة معلنة وأيضا المجازاة والانتقام . لأنه كإنسان

يرى حجرا تدحرج من مكان مرتفع فإذا كان أناس جالسون من أسفل، يصرخ بكل قوته: ابتعدوا ابتعدوا لا تقفوا هناك، فمن يسمع يخلص ومن لا يسمع يسحق إذ يسقط عليه. وهكذا اللعنة المكتوبة فى الكتاب وسخط وغضب الرب سيدركان كل إنسان يغفل هذه الأمور لأنه لم يصغ لصوت الله..

إن من يدنسون الهياكل المقدسة ويحتقروها فإنهم يستحقون العقوبات وانى لهم أن ينجوا من لعنة وغضب سخطه. سوف يسلمون إلى أمكنة شهواتهم والى مساكن الشياطين.

هذا كأن إمرأة تمثلت أمام زوجها كصانعة خير لكنها صنعت الشرور، وبدلا من أن تتركى فى ذلك المكان دلست نفسها، أترى المرأة تختفى من زوجها، أو الولد يختفى من أبيه أو الإنسان يختفى من جاره، لو كنت أيتها النفس الممقوتة تختفين من الذى خلقك، أو لو اطلع أحد على نجاستك كيف تتصرفين، هل تجتهدين فى شىء آخر سوى تكذيب ذاتك لأنك تصبحين ذاتا واحدة مع الجور كما هو مكتوب: كذب الظلم لذاته مز ٢٦: ١٢.

.. إن أمثال هؤلاء بدلا من أن يمتلئوا من روح مخافة الرب

كما هو مكتوب امتلأوا من روح الوقاحة وروح النفاق.. ان يسوع لا يصنع معهم إلا أن يمحو إسمهم وذكرهم من بين الناس الذين يسكنون معهم حين يشاهد بيته قد فقد طهارته، لأنه إذا وجد أناس جعلوا أماكن الله غريبة بسبب إثمهم فإن آخرين أيضا قد غرهم بنعمته بسبب براءتهم.. وهو لا يهمل أماكنه بسبب الصديقين الذين يسكنون فيها لوجود الناس الأعداء ولو كانوا مختلطين بهم.

انه بالحقيقة تحل اللعنة على الرجل وعلى المرأة أيضا حين يقولان نحن لبسنا المسيح وقبضنا على ترس الإيمان ١ تس ٥: ٨. وهم منغمسون فى الأمور الممقوتة.. ولا يهربون أبدا مما قاله النبى فى محاربة المرائين فى كل زمان وهو يشجبهم إذ يقول فى ذلك:

«هذا بنى حائطا ولكنهم بيضوه» حز ١٣: ١٠. معروف هذا البناء ومعروف أيضا هذا التبييض يعنى الذين يصنعون الخطايا مفتخرين.

انهم يتفقون مع من يبغضه الله حين يقول: ان الحائط يستقيم قائما ولكن الله قال انه سوف يهبط، قال ذلك الى هؤلاء

المبيضين انه سيهبط بعكس ما قاله هؤلاء . قال : سأنقض الحائط الذى كلستموه ســـأدكه على الارض حين تتكشف اسسه حتى يهبط (١) . ليس على ذاته فحسب لكن على هؤلاء الذين يبضون أيضا ، كيف يهبط على بيوت أخر فينجم عن ذلك هبوطها ويعم الخراب الكل . أين الآن تبييضك أيها الحائط وما منفعة الدين يبضوك ؟ .. انظروا عطب الارض والمثالب التى إنتهالت على الفلاحين الذين حرثوها حين تركوا الزوان فى وسط القمح . قال دعوهما ينميان ولا تنزعوه مت ١٣ : ٢٦ ، لأننا قد شرحنا هذا الامر فى أماكن من خطب أخرى .

إن وجدت فى سدوم عشرة ابرار ، فإن
اصفح عن المكان كله من أجلهم » .
تك ١٨ : ٢٦ ، ٣٢ .

ألا ينظر الرب الى العالم بسبب صديقيه لان هناك اشراراً ؟ وهل يترك أماكنه بسبب أحبائه الذين يسكنون فيها لانهم مع

(١) حزقيال ١٣ : ١٤ ونصه : فأهدم الحائط الذى بلطتموه بالطفال والصقه بالارض وينكشف أساسه .

اعداء مختلطين بهم ؟ .. ومن هم الاكثر عدداً ؟ من يسكنون على الارض كلها أم الذين فى الاديرة ؟ يجب أن يقال أن العالم ينجو بسبب الاماكن المقدسة . .

وحبة الخردل فى جرابها ينجو الجراب بسبب حبة الخردل بمعنى أن يسوع يمهل ديراً بسبب الذين يخافون فيه . الويل لهذا الجراب يوم أن ترفع حبة الخردل ، وأيضا الويل للعـــالم يوم تؤخذ منه الحبوب .. ، ولكن أى رياء أعظم من هذا أن يرغب دير فى سكنى أناس معروفة أعمالهم الشريرة بدلا من أن يجعل يسوع يسكن فيه ؟ لمن تلتجئ . أو من الذى يخلصك ؟ من الذى يثبتك أيها الدير إذا لم يكن الرب ساكنا فيك ؟ كالتى يقال عنها : الرب فى وسطها فلن تتزعزع ـ فى أى الأمور لا تتزعزع ؟ لن تتزعزع عن معرفة الله نحو الكفر كقوم لا يعرفون الكتب .

ان كان هذا الزمان نعمل فيه الرذيلة فأيما
هو الزمان الذى نعمل فيه الفضيلة
(رئيس المتوحدين) (١)

(١) Scriptores Coptici, Sinuthi Opera IV

كثيرون يرون التائبين إذا لم يقوموا فى أوقات القيام ويقولون لهم « طلعت الشمس وأنتم نيام » ، والذى قالوه فهو الصواب ، هكذا ينبغى علينا نحن أن نقول هكذا ، أى أن المسيح واق إلى العالم ونحن نخطىء ولانقوم ولاسيما أن هذا هو الزمان الذى ننتبه فيه من غفلة النوم ، وإن كان هذا الزمان نعمل فيه الرذيلة فأى هو الزمان الذى نعمل فيه الفضيلة ؟ ـ أترى فى زمان فيه نفتحب ونبكى حيث أماكن الظلمة لأجل تجاساتنا والعثرات التى جعلناها فى الرهبنة (١) . بعدم تقوى وفى غير رهبة من الكلام الذى يدينا به كما قيل لا تجعل عثرة واحدة فى شىء من الأشياء لئلا يهين أحد خدمتنا فإنه قد أهاننا كثيرون واحتقروا خدمتنا ومنزلتنا واسمنا واسكيمنا وحسبوها كلا شىء وصرنا هزءاً وضحكا عند أعداء المسيح .

وإذا كان اللوم والعقاب على السكارى وعلى النيام بالليل ، فما هو الحكم الواجب على النيام بالنهار ، ومعنى قولى هذا أى

(١) هذه العظة نافعة للجميع .

انه إذا كان العصاة لعمى قلوبهم ، الذين لايعرفون الله ولا شرائعه حكم عليهم بالإقصاء فما أفدح القضاء وما أشد الحكم على الذين يخطئون بعد المعرفة الكلية بأن المسيح هو الرب .

يا ليته لايوجد من ينام ولا يسكر سوى النيام والسكارى بالليل ، فيكون خيرا عظيما لجميع المسكونة ولكانت الأرض مثل الفردوس الذى غرسه الرب الإله ضابط الكل منذ تأسيس العالم ـ إلا أن الذين ينامون ويسكرون بالنهار كثيرون ، ولذلك تحل بنا البلايا دفعات عديدة .

أما يوجد فى الناس من يجهد ذاته فى عمل الفضائل فى ظلام الليل كالصلاة والتسبيح لله ، بل ومن الناس من يرتكب المعاصى فى نور النهار مثل الزنا والظلم والفجور . وقد تقدمنا بالقول وعرفناكم ما هو النوم وما هو النهار وما هو الليل .

ما أحسن الليل المعروف لأننا نستريح فيه والنهار أفضل لأنه إذا أشرقت الشمس تجتمع كل الوحوش وترقد فى جحورها ويخرج الإنسان لعمله وصناعته الى وقت المساء ، فلنتأمل هذا الكلام وتفسيره هكذا انه لما اشرقت شمس البر ومعناه لما جاء

يسوع المسيح الى العالم اجتمعت الشياطين ورقدت فى جحورها وهى قلوب الكفرة ، وخروج الإنسان لعمله وصناعته الى وقت المساء معناه تعبد الإنسان لله وعمله الخير والصلاح الى الشيخوخة وحتى يمضى الى يسوع المسيح .

ولا يشتغل الناس بصناعة واحدة أو عمل واحد فى أعمالهم الجسدية الكثيرة وهناك أبواب كثيرة للصناعات . وهكذا أيضا لاتقوم صناعة واحدة فى أعمال الروحيات بل كثيرة هى ومتنوعة قوم إختـــاروا البتولية ، بعضهم طهر المضجع ، البعض حملوا صليبهم وتبعوا الرب ، البعض رحماء ، والبعض يقومون للصلاة والزهد ..

فما أحسن الصعود على الجبل الشامخ كل الأزمان وســـائر الأيام لاكتساب الخيرات والصلاح وما أجمل التوصل اليه من عطوف المسالك لما تناله فيه من الراحـــة ، وما أردأ السقطة فإنها ترضضك كلية ، وما أحسن الإلتجاء الى الله دائما فى كل وقت ـ تتضرع اليه أن يحرسنا من الشرير فى هذا العالم ويؤهلنا لمكان الراحة الذى نمضى اليه .

النفس الملازمة للذنوب ولا تتوب تصير مسكنا للشياطين . (رئيس المتوحدين) (١)

ان أعمالنا تستأهل المقت والإهانة ـ لم يتحدث النبى فقط عن التى ولدت البنين الكثيرين أنها صـــارت بغير بنين وغابت الشمس عنها نصف النهار لانه ما هى منفعتنا نحن إذا قسرنا القول على مجمع اليهود وحدهم أولئك الذين كان الله حالا بينهم ذلك الزمان وشرائعه بأيديهم وهم به كافرون لأنهم إذا لم يكن لهم الإبن يسوع فليس لهم الله الآب ، وأسباب كثيرة كانوا يتقلبون فيها ذلك الزمان ولم يريدوا أن ينقادوا لطاعة الآب ضابط الكل .. وتأويل ذلك أن النفس التى كانت بكراً زمانا صالحة وبارة تصنع الفضائل ثم تنجست فيما بعد وصنعت الرذائل وغابت الشمس عنها نصف النهار أى الرأى والمعرفة والصواب، كلها اختفت عنها فبقيت وهى فى منتصف غايتها. وأما العاقر التى ولدت سبعة بنين فهى كنيسة الأمم التى صارت كرمل البحر ونجوم السماء بعددهم ليسوع ، والكثيرة الأولاد التى ضعفت فقد ضعفت

---

(١) Scriptores Coptici, Sinuthi Opera IV

عن الإيمان ، بجمع اليهود هو تلك التى كانت كثيرة الحب لله فى زمانها ومنها خرج الأنبياء والرسل والقضاة والصديقين والآن قد افقرت - وقيل أن إبنة صهيون تصير كالراقية فى الكرم والعريش فى المقثأة ، وهى التى قيل عنها أيضا أن أمك تقشه بظلام الليل وقيل عنها أيضا إنى من أجل آثامكم طلقت لكم أمكم وهى أيضا الأرض المثمرة التى صارت قفرا بسبب رذائل الشياطين الحالين فيها .

والنفس التى كانت غير مثمرة زمانا قد تفاضلت فى الأعمال الصالحة ، والتى كانت متفاضلة فى الأعمال الصالحة زمانا لم تقنع بضعفها عن عمل الصلاح فتزايدت فى عمل الرذائل وأكملت جميع الأعمال الغير صالحة .

قيل عن أورشليم حين تنجست وعصت ربها أن اسم أورشليم للسبى والجلاء ، وتصير مسكنا للتنانين ومعنى هذا القول أن النفس الملازمة للذنوب التى لا تهوى أن تتوب تسلم لشدائد

كثيرة وضيقات وتصير مسكنا للشياطين .

ما أحسن الوقت الذى تنطلق فيه السفينة للسفر وما أجمل

الوقت حين ترسو بميناء السلامة ، والغرق أردأ ما نتوقعه ، أى ما أحسن الانطلاق الى بيعة الله ، وما أجل الصوم وما أجود الوقت الذى فيه يمسك الإنسان عن زوجته - وصالحة هى جميع الأشياء المباحة ، وما أحسن الاشتغال فى الفلاحة ويحل الأكل والزواج وجميع ماينفع - أما الزنا فلا يليق كذا عدم الإمساك .

وهذا يختص بالعلمانيين المشتركين بالزيجة العفيفة وليس عن الرهبان ، الذين قد حملوا صليبهم وتبعوا ربهم كما قال الإنجيل واحبوا الطهر كملائكة النور ليصيروا هكذا مع الملائكة فى ملكوت أبيهم السمائى .

كونوا قديسين لأنى أنا قدوس

١ بط ١ : ١٦

اتكلم عن من يعرف المسيح الكرمة الحقيقية وعن الذى لايعرفه . هل من وضع يده على المحراث وهو لايعرف مثل الذى نظر الى الوراء بعد أن وضع يده ؟ هل يحرث الإنسان أرضا إذا كان متجها الى الوراء ؟ هل يحى شيئا آخر سوى خسارة كل زرعه ؟ لأن الإنسان الذى جعل نفسه عبدا لله ثم ارتد قلبه الى الخلف بدلا من أن يتجه الى الله ، إذا كان السيد يعلمنا كيف

تحرث أو إذا كنت أضع يدى على محراث أو على مقبض محراث ماذا يعنى هذا ؟ ليس أحـــد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لكى يكون حـــرثه مستقيما ..؟ .. أول شىء يلزم الإنسان أن يفعله هو ألا يحمل أعضاء المسيح أعضاء زانية لأن هذا هو الغضب الكبير .. وبعد ذلك كل الفضائل الأخرى .

لا عجب إذا وجد رجل أبرص أن أولاده برصاً ، فإن كل واحد سيقول ما كان بأبيهم صار اليهم .. أتكلم عن كل الأشرار الذين غطاهم برص أبيهم بقشوره ـ ولماذا لا يرغم بنو الله أنفسهم بما انهم ليسوا برصـــا ـ على تحصيل ما فى أبيهم ليكون فيهم ليكونوا أطهارا كما هو طاهر . لم يقل لأحد قلد الشيطان ، لكن كثيرين هم الذين يقلدونه وأعمالهم تشهد بذلك بينما صوت الرب يملأ الأرض كلها ، كونوا قديسين لأنى قدوس » .

إنه كما أن الزواج من أجل إنجاب الأولاد هو أمر جميل ، وجميل أيضا الفسل ، كذلك يكون جميلا الأكل والشرب فى غير جشع والنوم بدون كسل .

محبوب هو الإنسان الذى يشبع من خيراتك .. إذا كان

شفتك بأعمالك الصالحة يجذب غالب الأوقات الرجل الغيور إذ تمد وتبارك أثناء الليل . لكن ملعون ذلك الرجل الذى لا تدع أعماله الرديئة البعض آمنا بسبب مظاهره .

الجميع اخطأوا وأعوزهم مجـــد الله

رو ٣ : ٢٣ .

كل العالم اضحى رديئا والأرض كلها صارت تحت الخطية ، الزوان نما ، والزرع الصالح ليس فيه إلا التبن ، وبسبب كون الأرض المأهولة أسلمت قلبها الى الخطية بكل قوتها لم يصبح القمح وحده رديئا ، بل كثير من الحبوب أيضا دفعها الريح مع التبن .. وبعضها جف قبل أن تظهـــر فيه البذور أو تبتدىء أن تخصب .

يا لخسارة زمان حياتنا ، لقد تقاعسنا عن الأعمال الصالحة ، اننا نتفرق فى أماكن العمل ولكن كثيرين سوف يخزون حينما يأتى رب الحقل يسوع .

من افتقر للمسيح غير الذين فعلوا الشرور ؟ .. أن الأمم الذين لا يعـــرفونك يصيرون حقا مثل الشوك المعد للحريق ،

اولئك الذين لعنوا فى أماكن السكنى مثل شوكة مطروحة فى الحقل أعدوا للحريق فى فهم وفى أثوابهم وإنما وجدوا - نحن فى الحقيقة قد ابتعدنا عنك بشرورنا العديدة لأننا اخطأنا على مرأى منك لا على مرأى البشر، أن الخطيئة صارت معنا جسدا واحدا.

لكنه بالحقيقة لو نهضنا واقفين فى مقادسك تغمر العالم بالصلاح والخيرات خصوصا إذا تناول كل واحد منا الأسرار مختبراً ذاته، حينئذ لايدركنا شىء البتة. وإذا أدركت المصائب الأرض أيضا فإن ذلك يكون يسيراً، لأن الله يرتد عن غضبه لو كنا نفعل ما يريد وذلك حين يتقد سخطه مثل النار عندما يمحو كفر الناس المعطلين ويتضاعف.

كيف يلطف الله فى سخط غضبه ؟ ..

إننا إذا لم نحاكم أنفسنا بهذه الأقوال وإذا لم نعلمها فانها تكون دينونة لنا لا تعزية.

الويل لنا لأنه منحنا احساناته فعصيناه. إننا عصاة فى نظر من تغتصب اليه كل الأرض مع سكانها - فى نظر يسوع المسيح -

ان العالم لم يعرف المسيح، لقد عرف العالم الغريب عنه

ولم يعرف الخالق. ان الإنسان عصى الذى خلقه وخلق العالم وكل ما فيه.

قال الرب : خراف هى التى تسمع صوتى يو ١٠ : ٢٧ - اننا نحن الذين حرمنا أنفسنا منه. ما هى خرافه إلا أولاده.

ومن هو الغريب سوى ابليس، انه يلزمنا أن نتبع كلما صوت المسيح ونرفض أن نصغى لصوت المدمر واللص..

لئلا نسمع ما يخاطب به الناس. ابعدوا عنى انى لا أعرفكم، كانوا مساكن للشيطان.. لأنهم تغافلوا عما يجب أن يفعلوه لأنهم لم يناولوه ليأكل ولا ليشرب، لأنهم لم يتقدموا اليه بزيت.. أما بالنسبة لنا نحن الذين نتلفظ باسم الله فإن كانت فظائعنا مختفية عن الناس فإنها مكشوفة لله.

الحزن الذى بحسب مشيئة الله يفشىء توبة لخلاص بلا ندامة.. ٢ كو ٧ : ١٠.

... بيوت الله ليست أماكن للضحك أو كلام الوقاحة وعدم الوقار والنميمة والقلاقل والشكاوى.. ان الذين يحزنون بحسب الله فإن الله يرفع عنهم حزنهم وأما الذين لا يحزنون

يحسب الله فإن الله يسلمهم الى الحزن كما هو مكتوب اعطهم يا الله سبيا للحزن أش ٤١ : ٣ ، وقال أيضا « هؤلاء ليسوا حزانى علام ؟ على النفاق الذى يصنعونه فى الأرض كلها .

كثيرون هم الذين يحزنون حسب العالم . على ما هو لهم . كل واحد بطريقته ، وقليلون هم الحزانى من أجل أمور المسيح .

إذا كنا نعرف أن الله لم يترك الإنسان الأول فى الفردوس من أجل معصية واحدة كيف ندخل اليه ونحن نصنع كل هذه الشرور .

أعزلوا الخبيث من بينكم . ١ كو ٥ : ١٣ .

هناك كثيرون قد ضلوا بسبب كلمات لم يفهموها مثل هذه « لا تدينوا كيلا تدانوا » ، لا تهموا أحداً لكى لا تتهموا أحد (مت ٧ : ١) أو لماذا تدين أخاك لو ٦ : ٣٧ .

إذا كان الشيطان أحيانا يتخذ شكل رجل رحوم يتملق الإخوة الذين يكونون الذين يصنعون الشر ، وإذا كان أحيانا يتحول إلى ملاك الله ويهدد الذين يهتمون بطرد الأشرار من أماكنه . فالويل لشعب يجتهد رؤساؤه فى عمل آخر بطريقة ما

فلا يمنحوا الارواح أعنى الرجال الذين يخدعونكم بكلامهم عن الآلام النجسين وينتصرون لهم قائلين لا ينبغى أن نقلع جذورهم ونقتلهم من الحدائق .

ويفرض أن الذى يكلمك هو ملاك فهل يعلمك أكثر من الله ؟ يجب أن يقصى الناس الانجاس من هذه الاماكن ، وأيضا العصاة لانهم لو كانوا أطاعوا لما قبض عليهم فى الفخ كما يفعل الصيادون .

أليس من بالدير (١) أصلا كلهم أحرار ، وإن كان فيه خمسة ولا أقول عشرة لصوص ألا يقولون « ان البعض يمثل الكل » لانه هل يطرد اللصوص غيرهم من اللصوص ؟ وهل النجسون يجعلون غيرهم من النجسين غرباء عنهم ؟ وهل الشيطان يطرد الشيطان من الاماكن المقدسة ؟ وهل يطارد الشياطين رجلا شريراً .. لكن إذا طرد عدو للمسيح من هذه الاماكن المقدسة

---

(١) واضح أن هذه الرسالة خاصة برهبان أديرته وكانت لهم قوانين خاصة صارمة لا محل لبحثها .

وكذا من يشبهه فى شروره فإن كلمة الحق بالحرى ترذله قائلة وماذا كنت تصنع بينهم ؟ .

وانى أقول إذا طرد إنسان بعض الناس من هذه الاديرة بدافع شخصى حتى ولو كانوا لم يتركوا شيئا من الظلم الا اقترفوه فليقه الله عارجا . . من رام أن ينجو من دينونة الله فليتعلم أن يسلك هكذا بسببه تعالى فقط ، انظر ماذا فعل يسوع حين انتقد غيرة على بيته .

ان الكتب تأمر الا يستقر شرير واحد لا اثنين أو عشرة فى جمع خوفا من أن يأتى اللوم على الكل .

ضع الزوان لينمو مكان الكرمة أو مكان الخضر تجده ينمو بكثرة . أيها الزارع الغبى ، أيها الاحمق بين الزراع العقلاء هل ترك راع قط خروفا أو ماعزاً وسط القطيع أو فى الحظيرة بعد أن ذبحت أو بعد أن اهلكتها الحيوانات المفترسة ؟ .

لماذا لا يجب أن نجعل رجال الدماء والمكر غرباء عن أديرة الله ليس فقط من أجل شرورهم ولكن لكى لا يبتعد الله

عن الاديرة ؟ ألا يلام الشعب إذا ترك بينه أعداء العدالة والوصايا التى أعطيت لنا ؟ .

نسمع أن رجلا عوقب لانه سرق قطعا من الحطب ، فلو ترك كل واحد يفعل فعله ، أما كان الكثيرون يسرقون ؟ هل كان الحاكمون عالين من الشفقة فى عقابهم للمخطىء من أجل قطع صغيرة من الحطب لا تصلح إلا للحريق ؟ ألم يفعلوا ذلك من أجل أمر الله حتى لا يحزن الله الجمع ويهلكهم من أجل واحد ؟ . ولماذا لا يجب طرح بعض الناس خارجا عن مجامع الله ؟ إنه ضرب من التى النحدث بأعمالهم الكريهة حيث هيأوا مائدة للشياطين .

انهم يكونون ملعونين لانهم رتبوا له ما يأكلونه معه وما يأكله معهم . فهل يسوغ أن يتركوا فى أماكن القديسين ؟

لو أن رقعة رثة بالية كانت نافعة لتبطين رداء جديد ، أو أن رقعة جديدة لرداء عتيق ، لكان الناس الدنسون ذوى نفع فى سكناهم مع الاطهار ولصح سكن الناس الاطهار مع الموبوئين .

لم لايفصل أب طاهر عن إبن دنس ، وابن طاهر عن أب موبوء ، ولماذا لا تفصل أم ذكية عن ابنة مخدوعة ...

ان كلام النبي الذى كان بالأمس يكون اليوم ويصير كل الأيام الى الانقضاء : « هل هذا الحائط والذى صقلوه . . . » هم الذين ينصحون ويعلمون ويعظون بترك الناس النجسين فى أماكن الله . محاربين الذين يقولون بعدم وجـــوب تركهم ومشجعين من ينصرفون بالتهاون .

† † † † †

الفصل الرابع

توبيخ وتحذير الى قساوسة وشمامسة

وآباء أديرة أخـــرى

« هؤلاء جاءوا ومعهم جمع كبير ليروا ويسمعوا منه كلمات، جاءوا ليتبرروا تصرفاتهم وهم أعداء الواحد للآخر من أجل أعمال شريرة والسرقة . ولكنه رأى من الضرورى الا يجعلهم يتكلمون فيما كانوا قد جاءوا ليتكلموا عنه حتى اليوم التالى رغبة منه فى أن يسود الهدوء حتى يسمع من يحب التعليم ما يهبه الله لهم ، وحينما فرغ من الكلام فى مساء يوم الأحـــد كعادته ذهب هؤلاء دون أن يفاتحوه فى الأمور التى جاءوا من أجلها لأنهم استحوا إذ توبخوا بهذه الكلمات . » قال القديس :

« أنهم - خونة سارقون وجاحدون من يفعلون أعمالا مكروهـــة فى هذه الأماكن المقدسة ماذا ينفع من الفضائل ما لا يشتعل فى المصباح لأنها ليست صالحة ولأنهم جعلوها تحدم مرات عديدة ؟ » كلمة الحق تحذرنا أنه ليس للذين يسيرون فى مكر فى بيت الله أن يتوقعوا العـــالحات ، ومن واجب الرجـــل

الامين أن يريهم الاعمال الحسنة وأن يضع النور فى الاماكن المقدسة .

أن الرجل غير الناجح الذى بلا استعداد فى ذاته كيف يكون أهلا لعمل مجيد مفيد ؟

إن يهوذا لم يكن له استعداد فى ذاته لذلك لم يستحق درجة الرسولية ، وإنما كان مستعداً ليظهر بمظهر اللص وخائن لا بسبب كون هذا الجاحد سمع الرب يقول : ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه مت ١٦ : ٢٦ ، لكنه سمع أيضا : إن واحدا منكم سيسلمنى مت ٢٦ : ٢١ ، فلم يخجل ولم يشفق على ذاته لكنه تاه بسبب الثلاثين قطعة من الفضة فدمر نفسه وأتلف الفضة أيضا . وإذا كان البعض لا يقتنعه العالم كله ويسقط ذاته فى فخ إبليس بسبب الأموال مفضلا إياها على السماء التى ليس فيها ذهب ، فلنكتف نحن بما يمنحه الله لنا من الكفاف .

ان الرب قال لآدم وحواء لماذا اكلتما من هذه الشجرة التى نهيتكما الا تأكلا منها قط ، فقالت حواء أن الحية اطغتنى فأكلت وقال آدم أن المرأة التى اعطيتنى اياها اعطتنى من الشجرة

فأكلت ولذلك طردهما ، وأما الجنة فأغلقها . ونحن أين نذهب من أمام وجه الله ؟ لأننا ارتكبنا الظلم ، لأننا لجار ، لأننا خطفنا ما ليس لنا ، لأننا نلجأ إلى الكذب ، لأننا نقسم اليمين الكاذبة ونقترف كل الشرور الأخرى التى تغضبه بها .

ان آدم وحواء عريا حالا وشعرا بخزى السقطة التى تورطا فيها وعلما انهما عريانان ولذلك بحثا عما يستتران به ، وصنعا مئزرين من ورق التين لأنهما اضطربا ، ونحن المغمورين دائما فى خطايانا لا نشعر بخزينا ولا نعلم اننا أصبحنا متعرين عن النعمة التى كنا نكتسى بها قبل أن نخطىء ، ونحن فى هذا لا نفكر فى أن نلتزم بالاوامر ونقوم بالواجبات التى فرضتها علينا الكتب لكى نخفى جهلنا .

إذا أتى البربر الى أرض ، إلى أين يهرب الساكنون فيها لكى يكونوا فى أمان وسلام ان لم يكن إلى المدن المحصنة ؟ ولكن ان استولى البربر على أماكن الحراسة فإلى أين المفر ، يمكن للقوى أن يهرب الى الجبال لكى ينجو وعلى هذا القياس إذا هجم الشيطان على الانفس بقصد أن يخدعها ويصرعها فإلى

أين تلتجىء الا الى هؤلاء الذين لهم القيادة فى بيت الله لكى يعرفوهم أمور الجهاد وأسلحة الحرب لكى ينتصروا على الخطية وإذا ابتدأنا نحن أن نضعف أو إذا سقطنا فى الشر حينما يضع العدو حجر عثرة تحت أرجلنا فأين يذهب الناس، أو من يمسك بيدهم . انهم يرفعون أعينهم الى الجبال كما هو مكتوب ، أى يضعون فى قلوبهم أن يحفظوا كلمات المكتوب لكى يروا من أين يأتى عونهم ، حيث يأتيهم من السيد الذى خلق السماء والأرض .

† † † †

إذا كان البحارة يهتمون كثيرا بأن يلقوا إلى خارج المياه التى تقذفها الأمواج داخل المركب فتكون الحمولة فى أمان ، هكذا أيضا الذين يحكمون فى أماكن الله عليهم أن يهتموا بألا يتركوا فيها أعمالا شريرة أو يعمدوا إلى محاباة الوجوه وإدانة شريرة من أجل أغراض بشرية ، وبالاختصار كل الأشياء التى بها تكثر الخطية فيخلص كل الجمع، أما زوايا الصخور وكل حجر

عثرة التى فى طرق الملاحة فسوف يخلصنا منها يسوع كما أيضا سوف يأخذ بيدنا فى هذه الأشياء الأخرى .

أقول هذه الكلمة : «إذا كنا نشبه المركب بالإنسان نفسه فمن البديهى أنه على الذى يقود مركبا أن يلاحظ بعناية طريقه حتى تحفظ قلوبنا فوق كل تحفظ - كما هو مكتوب - من كل عمل يهاجمه أو ذكريات تدخله فتضيع روح الورع لأنه كما قيل ، احطأوا فى أفكار قلوبهم ، اولئك الذين يحاربون بعضهم بعضا بمثل هذه الأسلحة التى هى الغيرة والحقد والإتهامات الكاذبة والإزدراء والسخرية وما أشبه . إنه لاحصر للذين جعلهم الشيطان أعداء للعدالة فى محبة مختلطة بالغيرة والحقد . وهكذا سوف نخجل فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس . كيف نجيء غيرتنا وحقدنا الواحد نحو الآخر فى هذا اليوم ؟ حين كنا نكلم بعضنا بالسلام لكن العداوة فى كل قلوبنا ، أنه لخير لنا ألا نسأل عن أخبار صحة رفقائنا من أن نسأل برياء وغش ..

لنخجل من هذه الكلمات لأن الرب يعرف أن أفكار الناس باطلة .. لن أقع بين يديك .. ولا أنت تقع بين يدى ..

لكنا سوف نقع بين يدى الله . مغبوط هو الإنسان الذى يخلصه المخلص يسوع من الشيطان .

آكل الخبز معك ، يدك فى الطبق معى ، لكن معى فى الأماكن المقدسة، أنت معى فى المذبح ، أنف بالقرب من المائدة معك ، لى ولك جسد المسيح وتناولى دمه وقلوبنا مليئة بالشر الواحد ضد الآخر ، ولا تخشى الغضب واللعنة . يوجد فى كل زمان الذين يسيرون بمكر فى الأماكن المقدسة ، قلوبهم ليست مستقيمة نحو الله . . . .

أين يوجد يهوذا ؟.. فى الجحيم . لماذا ؟ من أجل سرقة وخيانة . يده فى الصحفة مع يد الله وكان على استعداد أن يسلمه. لنخش إذن جهنم ، لنخجل من أنفسنا نحن الذين منحنا عظائم الله لنحفظ أنفسنا أطهاراً من أعمال يهوذا فى بيت الله لأنه إذا كان قد فعل هذه الشرور العظيمة فهو لأنه بعد أن أخذ الخبز دخل فيه الشيطان . وبعدل سقط عليه هذا الغضب الكبير بحسب شر أعماله لأنه بدلا من أن يتطهر من الشيطان حينما أخذ الخبز الذى كسره وأعطاه له الرب دخل فيه أكثر وهكذا بدلا من أن يصبح رسولا أصبح ابليسيا .

ترون أن الذى يحمل مكانا فى نفسه للروح النجس بعد النعمة، بعد الاسم الحسن ، بعد الثوب الذى لبسه يقع بين ايدى أشرار عديدين . .

ان النجس ليس فقط الرجل المدنس المفصول عن الاطهار.. كل شر ، كل رياء فهو شىء نجس وكل من يلبسه أى يعمله فهو نجس ، من لا يبتعد عنه فهو نجس أمام الله .. أنا أو أنت الذى نعظ وتعلم ! لنبك على خطايانا حتى لايلقينا الرب بعيداً عنه فى الضيق ، إذ يقول « ابعدوا عنى » ، و « لا أعرفكم » . ماذا نقول فى هذه الساعة ؟ هل نقول : « باسمك أخذنا وصايا أو عظائم ، باسمك لبسنا ثيابا ، سكنا فى اماكنك المقدسة ، باسمك قرأنا الكتب ؟ » أو كما يقول آخرون : « باسمك تنبأنا ، باسمك أخرجنا شياطين ، باسمك صنعنا فضائل كثيرة ، ولكن هذا سوف لاينفعهم شيئا » . فسيقول لهؤلاء « ابعدوا عنى يا ملاعين إلى النار الابدية ، لأنهم لم يفعلوا ما قال فكم بالحرى يكون الويل لنا أكثر لأننا نترك أعمالا ضرورية اعنى احكام الله والعدل ..

لايدنو من التناول من لا رحمة عنده
ولا من هو نجس بالكلية . .

(كتاب الاعمال الرئيسية)

ايها الكاهن إذا كنت تريد أن تكرم انانا فأكرمهم فى بيتك وقدم لهم مما تملك ، فالمذبح ليس المكان الذى فيه ترضى الناس ، ووجود جسد الرب ودمه لا يمكن لنا معه أن نشترى خواطر الناس . سر هو هذا الذى تصنعه وليس اكلا وشربا . الهيكل ليس بالمكان الذى يمكن أن يدخل فيه الإنسان وهو خاطىء ، زان أو غضوب ، سارق أو يحلف باطلا ، كل فى خطاياه . . .

أيضا من أجل يسوع ينبغى ان نعلم ان الهبة الحقيقية التى يجب أن يعطيها الإنسان لقريبه هى أن يسند كل واحد أخيه وصديقه فى احتياجاته ، ليس فقط فى احتياجاته إلى الاشياء الظاهرة ولكن فى احتياجاته الروحية ضد ابليس .

الديانة الطاهرة المقبولة عند الله هى عمل الرحمة والطهارة .

ع

هناك أمور يجب على الإنسان أن يفعلها سواء وعد بها أو

لم يعد ، وهى أن يطهر مريره ويعطى صدقة إذا كان لك خيرات الحياة ويرد الحق دون محاباة الوجوه ويحفظ أيام الصوم حسب قوانين الكنيسة وأن يعطى البكور والعشور وكل عمل صالح .

وهناك أمور إن لم يذرها الإنسان فلا خطيئة عليه لأن الرب يقول : « من استطاع أن يحتمل فليحتمل » ولكن ان نذر ولم يفعلها فالويل له ! وهى أن يكون بتولا وأن يحمل صليبه لكى يتبع الله . . من سقط إذن من هذه الاعمال أو من رجع الى الوراء فيها فقد اهلك نفسه وأصبح عامود ملح مثل إمرأة لوط .

احترسوا لئلا يسرق إبليس غنى العفة

وانت ايتها العذراء . . ابحثى فى كل أرعيتك وسوف تعرفين ما يريد أن يأخذه انها طهارتك ، هى الغنى الكبير . انها الصلاة ، وهى الاساور والخواتم من كل نوع فى يديك وأصابعك ، انها طاعتك ، وهى الافراط التى فى أذنيك ، إنه تواضعك ، وهو العقد وخيط الرفير الذان فى عنقك ، انها حكمتك وهى الزينة على

رأسك أو حول جيبك ، انها أصوامك ، وهى زمام جسدك ، انها التأملات فى كلمة الله سراج رجليك ، أعمالك الحسنة هى الثياب الثمينة التى تلبسينها ، هى النعمة كالعطـــر والزيت التى تدهنين به نفسك وتضمينه على رأسك ، هى الحريرة كالرداء الذى تلبسينه . هذه الأشياء وغيرها لا يسعى فقط كى يسلبها منك بل يروم أن يسلبك الكرامة والحياء الحسن الذى فى عينيك ..

على العذراء أن تحفظ لنفسها كل غناها الحقيق فى الاعمال الحسنة وتعملها بكل شجاعة ..

ماذا لو أخذت عـــدواً وأدخلتيه فى بيتك وفى غرفتك ، المكروه النجس قبلتيه اليك ، والطاهر المحبوب ابعدتيه عنك ، وليس لانه لم يكن فى قدرته أن يخلص لكن لانك احببت الغرباء وتبعيتهم .. أقول عن روح الشر وقوات الظلمة ، لكن إلهك والرب يسوع لم تسكنيه فى قلبك وفى أفكارك ..

إلى متى تكون هذه الآلام على الأرض بسبب أعمالنا العنيفـــة ؟

ارفعوا الخطيئة لكى يرفع الرب الآلام والعقوبات والاتعاب من كل نوع ..

(رئيس المتوحدين) .

لا يمكن أن أقول كلـــة لا اؤدى عنها حسابا ، لذلك أقـــول لكم :

† يوجد رجل يقرأ الكتب ويتلو المزامير ويقال عنه فى السماء انه كان خليقا به أن يغلق فمه .

† يوجد رجل فى الأماكن المقدسة يلبس أيضا الاسم المجيد أو راهب ، ويسمونه فى السماء عدواً لبيوت الله ويستحق أن يمزق الثوب الذى عليه .

† يوجد رجل يأتى الى المذبح ويتناول جسد الرب ويسمونه فى السماء مستحق أن تقطع يداه ورجلاه .

† يوجد أناس تفكر عنهم على الأرض أنهم أنوار تحلوا بكل طهارة ويسمونهم فى السماء ، انجاس فى كل شىء .

انه يوجـــد فرق بين الذين يسمعون هذه الكلمات وهم يتنهدون ويبكون ، وبين الذين يسمعونها وهم يضحكون

ويستهزئون .. ماذا ينفع هذا الاسم وهذا اللباس إذا كنا في أعمال لا تليق ؟

الذي لا ينتبه الى خطاياه وهو يسمع هذه الكلمات هو الذي لا يفكر في نهايته وفي ساعة احتياجه .

ايها الإخوة ليس العالم هو الذي ملأنا بالأخطاء ، ولكننا نحن الذين ملأناه بها . لذلك هذا هو الوقت الذي ينبغي أن نكون فيه حكماء .. وإني اتذكر كيف رأيت دموعا تسيل على خدودكم حينما قيل . . « أترتفع على المنبر أو على العرش لكي تقرأ للذين يسمعون كلمة الله في الكنائس أو تنزل في الحفر ؟ أيضا ما حرص الراعي إذا كان يأخذ ماء لكي يسقي قطيع خراف ولا يسقي عنزة صغيرة يملكها ، ومن يوقد مصابيح كثيرة في بيوت الآخرين ولا يوقد مصباحه في غرفته ؟ » .

وانتم حكماء تعلمون اني اشبه نفس القارىء « العنزة الصغيرة » وقلبه « غرفته » والكلمات « المصابيح والمياه » والناس « الخراف » والكتب « البئر » والاعمال الحسنة « الأماكن المرتفعة » ، والاعمال الشريرة « الحفر » .

هكذا انتم مثابرون وفي هذه الدموع باكون وانتم تفتكرون خطاياكم وجهالاتكم .

وبما اننا قلنا ما فيه الكفاية وسمعنا ما فيه الكفاية اكتفي بهذه الأشياء ورب كل رأفة يجعلنا مستحقين لهذين الأمرين : بحفظ الأبرياء الذين في شعبه ويخلصنا أيضا نحن الخطاة من كل إثم .

† † † † † †

لا يوجد طريق آخر للدخول الى السماء الا الكنيسة

انت ايها الإنسان الذي يبحثون عنك لكي تتوب ، فتلتفت كلمة الله حولك وتمسك بك الى أن ينزعك هؤلاء الذين يبحثون عنك من طين الخطية فيكون فرح لمن يكلمك حيثما يعطى التعليم .

إذا كانت إمرأة لوط تغيرت لأنها نظرت إلى الوراء حتى انها بدلا من أن تكون إمرأة أصبحت عامود ملح ، وانت ايضا لا تحول روحك من أجل رياء بشرى ولا تجعلها بدلا من أن تكون مستحقة غير مستحقة .

ان هلاك أنفس الحاكمين وأنفس الذين يحكومنهم إنما يكون إذا كنت أظن أن :

« فى شيء ما سوف يحزن ضدى قلب من يخطىء إذا كنت أؤنبه » .

ايها المجنون !! أليس أفضل أن يحزن الناس ضدك من أن يجعل الله يغضب عليك وعليهم ؟ وكيف لايغضب إذا كنت تحتمل الذين يصنعون ما لا يجب فى أماكنه المقدسة ـ اولئك الذين بخصوصهم أمر موسى : « مقدسى تهابون » ، لانه حقا يجب ان ترتعد وتمتلىء خشوعا فى أماكنه المقدسة أعنى كنيسة الله التى رآها الطوباوى يعقوب أولا وامتلأ خوفاً كما هو مكتوب شاهد مكانا ونام فى هذا المكان ورأى رؤيا وهى ان سلما وصل الى السماء والملائكة يصعدون وينزلون عليه ، وكان الرب متكئا عليه ثم يقول خاف يعقوب واعترف « هذا بيت الرب وهذا باب السماء » .

ما هو إذن المكان حيث كان السلم الذى بلغ السماء إن لم يكن هو كنيسة الله التى وحدها الطريق إلى دخول السماء والتى

كان الله متكئا عليها . والتى ايضا رآها ابو الآباء وقال عنها بخوف : « هذا بيت الله وهو باب السماء » .

لايوجد طريق آخر للدخول الى السماء الا الكنيسة الوحيدة

التى أمر الله ان تحافظ وتطرد منها الخطاة ، لانه فى ذلك يغضب فى كل حين قائلا : « يا صديق كيف دخلت هنا دون ان يكون عليك ثياب العرس ؟ » .

هذه الأقوال لا تهددنا بالغضب فقط بسبب رهبة المكان الذى نذهب اليه ولكن صداها الآن اكثر . ايها الرجال ، ايها الأصدقاء ، كيف دخلتم إلى هذه الأماكن فى غير طهارة وفى غير محبة حفظ الوصايا او اعمال فيكم تجعلكم مستحقين ان تسكنوا فيها

فلينزل ملاك من السماء بأمر الله ويقف فى احد هذه الاديرة ويفرق بين الذين ليس عليهم ثياب العرس من بين الذين عليهم ثياب العرس لانه كم يكونون محتقرين وتستد افواههم .. ولماذا نحن غير مطيعين الكتب مبغضين الثوب المدنس من الجسد لكى لا نلبس هذا الثوب (ثوب الخطيئة) ، الذى لايليق بالصلاة إلى الله أو خدمته .

كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية .

يو ٨ : ٣٤ .

كما ان العين للنظر والاذن للسمع أقول هذا .فإن الغنى للرحمة والمقدرة لإقامة العدل والايدى للصلاة واللسان ليبارك والرجل لتدوس عتبة كنيسة الله وكل الجسم ليخضع للذى خلقه ، ولا أنسى ما قاله الزميل : « ان الرهبان قد جعلوا للصيام » .

حقا انهم مجبولون لذلك من أجل الرجاء الذى ينتظرون نحوه فى السموات . وكما يتكلم يعرح - وليس ثمة مناسبة للمزاح اريد ايضا دون خجل أنه يجب عليه أن يصوم وأضرب لذلك هذا المثل :

كان لرجل اثنان ، ذبح العجل المسمن واعطى الواحد اربعة اجزاء والآخر جزءاً واحداً فقط ، فمن من الاثنين يجب عليه أن يعمل أكثر ؟ هل الذى أخذ القليل أم الذى أخذ الكثير ؟ هل الرهبان الحقيقيون المستقيمون الذين يعيشون على غذاء قليل وعليهم أن يصوموا ، أم انت الذى تأكل العجول وتشرب النبيذ مع خيرات أخرى من كل نوع تتمتع بها كما تشاء .

لا تتهمنى إذا كنت أقول لك الحق لانك أنت الذى فهمت بكلمات على طريقة من يمزح ، تريدنى أن أضحك فى الوقت الذى يجب فيه البكاء ، بل تريدنى أشاركك الفرحة وانت لاه . لقد قلت لك عن تجربة إذا كان الراهب يصوم .. لماذا لا تتوخى العدل من أجله ؟ أليس كل واحد يجاهد لكى يجد رحمة أمام الله ؟ لأنه كما كنت أقول يوما لاحد الناس : « اعط راحة للفقراء الذين يعملون من أجلك ، ولانه لا يحب العدل ويكره الفقراء أجاب قائلا : « انها خطيئة أن تأكل خبز انسان لا تعمل عمله ، قال هذا لانه كان تحت سلطان آخر فأجبته : « حسنا قلت انها خطيئة أن تأكل خبز إنسان دون أن تعمل عمله لان الخبز ليس خبزه . ولكنه خبز المسيح ، فكم يكون أفظع إذا كنا لا نعمل أعماله فحسب بل نجعل الآخرين يغضبونه بشرورنا شأن الذين لا يعرفونه » .

ولقد سألنى صديق حين كنا نقترب من الاربعين المقدسة قائلا : « ماذا آكل فى هذه الأيام ، فقلت له : « كل شىء يمنعه الإنسان عن نفسه سوف ينال عنه أجراً عند الله » ، ولكنى

اعلك الشيء الوحيد الذى ينجس كثيرا فإذا انت لم تأكل منه تكون سعيداً ، فتسأل أهو الخنزير ؟ قلت لا فذكر أشياء أخرى كثيرة قائلا : هل هى هذه وكنت أقول « لا » . وما هى إذن ؟ قلت له « انها الخطيئة مكرهة الرب إذا كنت تمتنع عن عمل الشر أثناء الاربعين المقدسة يمكنك أن تقول لنفسك : انى إذا كنت أفعل هكذا كل حياتى فلا يوجد شيطان أو روح نجس يستطيع أن يغلبنى لكى اخطىء » .

طوبى للذين يعرفون المسيح لانه لا يوجد إله آخر حق الا الله القادر على كل شيء ، وابنه يسوع المسيح سيد الكون. طوبى للذين لا يخدمون إلها آخر . لا أقول فقط الآلهة التى تخدمها الامم ـ الاخشاب والاحجار والشمس والقمر والنجوم . الخ . لكن من يدعون باسم المسيح ويخدمون آلهة أخرى . اولئك الذين يفسدون الحكم ويتركون ما هو حق بسبب الذهب ، ويخدمون آخرين . الذين يدنسون أجسادهم من الواضح انهم خدام الادناس ، وبديهى أيضا أن الطماعين هم خدام أصنام .

وبالاكثر هناك إله غير ظاهر للغافلين ، أقول « البطن » لان الرسول قال : « اولئك الذين الهتهم بطونهم » ، يستطيع الإنسان

ان يأكل ويشرب ما يحتاجه جسده دون أن يكون عبدا للبطن ويؤنب الذين فى كل ساعة يهتمون بالاكل والشرب ، كذلك الذى قال لنفسه « لك خيرات كثيرة لسنين عديدة استرح وكل واشرب وافرح » فسمع لوقته هذا : « يا غبى فى هذه الليلة تؤخذ نفسك .. » انهم لا يغيرون فى أى وقت من الأوقات ما يقوله الإنجيل عنهم . « انهم يأكلون بيوت الارامل » هل نستطيع أن نقول غير ذلك ؟

يشهد القديس بولس أن الشيء الذى يغلب منه أحد من هذه الاشياء التى يكرهها الله فهو عبد له ، كيف إذن يستحى الإنسان من أن يتورط فى صداقة العالم لدرجة أن يصبح عدوا للمسيح الا أن يتخلى عن غش البخل وقساوة القلب حتى يصبح رحوما شفوقا ومحبا ؟

تكلم ولا تتركه يكلمك ..
(أحد الشيوخ) .

قال أب طيب حكيم تقى بحق فى خطاباته : « تكلم ولا تتركه يكلمك » . أما أنا فأحاله يعنى : « كلم العالم الذى سوف تخرج

منه لتقف أمام محكمة الله قائلا : « البخل وما ينجم عنه وعندم التقوى لا يقدران أن يحولا بيني وبين أن أكون نقيا في كل شيء. لا تترك العالم يكلمك ويقول لك : « أخذتك وربطتك في محبة الأموال وفي الخطايا - الزنى والعنف والسرقات والأدناس والنجاسة والأشياء الأخرى التي لا تحصى ». كما أظهر لنا الآن، أي أن الذين يخدمون المسيح ويخدمون ابنه بالحقيقة هم الذين يكرهون العنف والسرقة وشهوة المال وما شابه ذلك مساعدين أنفسهم بعمل كل عمل صالح يمكن أن يعملوه. لنبتعد عن هذه الأصنام حتى لا تكون عثرة في سبيل تقوانا. ألا تقولون : « ان لم يكن المخلص يسوع قد جاء إلى العالم كان يجب أن يكون للأرض شأن آخر. الحال شبيهه بحال من يكونوا قد انتهوا بعد من بناء آلهة من الخشب والحجر .. الخ، عندما يرى العدو ما يحل بالأرض من الدمار وقد خرب كل ما كان بها يسرع بآخرين للعمل حتى يصبح عدد كبير من قلوب الناس هيا كل هذه الأصنام التي تكلمنا عنها . . . .

† † † † †

« ان كان أحد لا يثبت في يطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق ».

يو ١٥ : ٦ .

حينما كنت اتكلم مع صديق وألفيته لا يرغب في استقبال كلمة الحق قلت له : « لماذا تتهم الله الحق ؟ إني اقارنه بنجار وخراف أما الأخشاب التي ليست أهلا لعمل النجار فتكون أهلا لنار أي الناس الذين لا يكونون أهلا لملكوت السموات هم أهل لنار جهنم ، لأنه ان كان الله يمجدا في الناس الأتقياء فهو كذلك يمجد أيضا في الأشرار . ألا تسمع : اني سوف أمجد نفسي من فرعون. ألم يظهر بره فيه بجعله شعبا يعبر البحر الأحمر وبإغراقه فرعون مع كل الذين كانوا معه ؟ إنه يتمجد بتخليص لوط وبناته من سدوم وعموره ، انه يظهر قوته بحرقه الذين كانوا يسكون فيها ، انه يتمجد بتخليصه القديسين من أتون النار الذي أشعله نبوخذنصر الملك الكافر . إنه أظهر قوته باخراجه النار التي التهمت خدام الملك ، أنه يتمجد بخلاص القديس دانيال النبي إذ جعل الأسود لا تضره بل ضربت الذين يتهمونه فرقتهم الأسود وافترستهم لكي يظهروا قوته . وهل يجعله الجحيم

ينفتح ويتلهم فى اليوم الأخير مع كل الذين نصحوهم بالعنف لايظهر قوته فيهم ؟! لأنه فى أى شىء لايتمجد السيد ؟ إنه يتمجد وهو يضرب ، يتمجد وهو يشفى ، يظهر قوته وهو يحيى ويظهر قوته وهو يميت . أنه يتمجد وهو يجمع الحبوب فى مخازنه ويظهر قوته وهو يحرق القش ، انه يتمجد فى كل ما صنعه منذ الأزل وبره عظيم لكل ما سوف يعمل ..

قلت مرة أخرى انه إذا رغب الرؤساء وأحبوا الحق استطاعوا أن يصبحوا اغنياء فى الأعمال الصالحة، فى سنة واحدة وفى جولة واحدة فى البلد لأن لهم القدرة على عمل الحكم وعلى مساعدة من كانوا فى خطر - وإذا كان هؤلاء الرؤساء مبهلين فسوف يفسدون ما هو أكثر قيمة من الذهب أو الفضة أو العالم كله بكل ما فيه - « النفس » .

وحقا ماذا تنفع الأموال ؟ قلت فى قلبى إذا كان الرؤساء يجدون ما يبحثون عنه أى الذهب فانهم يودون لو قطعوا جميع الأشجار الموجودة فى البلد الذى ذهبوا اليه فيجعلوها صحراء .

لا تنظروا الى طريقتى إذ أوجه اليكم هذا الكلام وتغتاظوا ايها القادرون . ولكن فكروا فى حكم الله وسوف تعلمون

أن هذه الأشياء ليست مستقيمة ، إذا كان هناك من هو كبير فى قومه له نفوذ وقوة - فإن كلمة التعليم أكبر ومرتفعة أكثر من كل الذين يسكنون الأرض ، أكثر من العالم وكل ما فيه ، لأنه من هم بجانب السيد المسيح الذى خلق الكون ؟ ، الذى يحكم الكون .. الذى جبلنا وخلقنا ووضع يده علينا وجعل قوته فينا. ليتنا نجد رحمة أمامه فى يوم الدين، وأيضا نعمته فى مكان الضيافة هذا . وما هو العالم بالنسبة للراحة فى السموات ؟

طوبى للذين لهم السيد المسيح كل أيام حياتهم
رئيس المتوحدين .

طوبى للذين يصلون « خبزنا الذى للغد اعطنا كل يوم » - ربما تقول لى انه يتكلم عن الخبز - الغذاء الجسدى - لكن أليس الكفرة عندهم هذا الخبز أيضا وكثيرون يتوفر عندهم بكثرة . ألا تسمع : « الذى للغد » (١) ، انه يقصد الذين لهم المسيح اليوم أى كل أيام حياتهم . يقصد الخبز الحقيقى ، خبز الحياة الذى نزل من السماء ، وإنه أيضا رجاء حياتهم حينما يأتى ليدين الأحياء والأموات وحينما يقفون أمامه .

---

(١) حسب النص القبطى .

الخبز غذاء الجسد يثبت قلب الإنسان فكم بالحرى يكون الخبز الحقيقى خبز الحياة ، إنه يثبت قلوب الذين يأتون اليه ويتغذون منه .

انظروا عبدة الأصنام والكفرة وما هم عليه من الحال ، قلبهم مكسور ضائع ..

لاشك أن ذلك ليس الا لانهم ليس عندهم يسوع ، لانه ان لم يكن عندهم يسوع ، فمن الذى يثبتهم ؟ هل الخشب والحجر .. الخ ، هل الشمس والقمر وكل زينة السماء ؟

انى اتجرأ وأضرب مثل الذين عندهم الخبز بكثرة ولا يستطيعون أن يأكلوا منه لانهم مرضى يعانون مرضا عظيما بالذين سقطوا فى مرض شر الشيطان ويقولون : « لنا يسوع » لانه بالحقيقة فى فمهم وليس فى قلبهم .

الخاطىء مثل إمرأة يتبعها كلاب جلست القرفصاء والكلاب تأكل لحما .

(رئيس المتوحدين)

من الذى يحملهم يقيمون فى هذا الضعف وهذا الخزى

جالسين بجانب الخطية التى تقدم نفوسهم مثل إمرأة يتبعها كلاب جلست القرفصاء لكى تسمح للكلاب أن تأكل لحما . انهم لا يحاربون الخطية ولا يطاردونها بأعمالهم الحسنة ، كرجل يضرب الكلاب بالطوب أو بعصاه أو بأى شىء حينما تقترب اليه .

أيضا كانت توجد إمرأة تجلس بالقرب من إبليس وتحت أرجل الشياطين بدلا من الكلاب الى ان ضربوها وغلبوها . من هى ؟ سوف أقول لكم من هى ؟ - انها بجمع اليهود الذين طاردوا الرسل والانبياء وكل القديسين ، تجرأت وطاردتهم كلهم من الذى سوف يقابلها بسلام ؟ صرخت ضد سيدها وقالت « اصلبه اصلبه » ولماذا ؟ أليس لكى يكرهها كل الصديقين وشعب وكنيسة المسيح كلها الذين يقفون فى وجه العدو وهم مستعدون أن يموتوا من أجل اسم الههم وسيدهم .

لا سلام للأشرار

هذه حقا عداوة لله : ترى آباء واخوة يقولون « اننا ملك للمسيح » فى حين أنهم يشاركون بعضهم بعضا فى معاطب أولاد الهلاك . ما هو سلام الناس عند الله حينما تكون شرورهم غير مستورة عن زملائهم ولا يوبخ بعضهم البعض ؟ كيف يهربون

مما هو مكتوب لاسلام للأشرار قال الرب .. طوباهم الذين تعلموا فعل الخير لانهم هم الذين تعلموا كيف يهربون من الغضب الآتي.

إن الأشرار فى كل زمان إلى نهاية الدهر سوف يذهبون إلى الجحيم ، وكل الابرار منذ أن خلق الإنسان الأرضى وإلى النهاية سوف يذهبون نحو زملائهم فى ملكوت السموات . من ذا الذى لا يرغب فى أن يكون باراً حتى يذهب إلى المسيح مع ملائكته وأنبيائه ورسله وكل الصديقين منذ هابيل حتى الآن وإلى الدهور الآتية بدلا من أن يكون شريراً يذهب إلى الشيطان فى الجحيم مع الابالسة والكفرة ومع كل الذين ماتوا فى شرور خياتهم التى هى أردأ من كل خطاياهم ؟ لان الذين هم عبيد له فى كل زمان يشفع فيهم روح الرحمة قائلا : « النفس المعترفة لك لا تسلمها إلى البهائم . . . . تضرع إلى الله لكى لا يسلمها إلى الشياطين . المعترف لا يسلم أيضاً إلى إهانات الغضب ومن لا يعترف يسلم إليها أيضاً وأكثر من ذلك سيلقى فى نار جهنم بسبب الاعمال السيئة . . .

إن الكذب لن تفيدنا شيئاً ولن نجنى منها ثمراً طالما نحن نغوص فى حمأة الخطية والطين يغطينا ويغرقنا . . .

ألا يصيح أحد أو يسمع أحد من يقول : « الرب يرعانى

فلا يعوزنى شىء » بينما يعوزه كل شىء . ربما تظن أنه يقول : « إنه لن يتركنى أحتاج إلى الذهب أو الفضة أو النحاس أو كل غنى » دون أن تفتكر أنه يقول : « انه لن يتركنى أحتاج ما هو ضرورى ، طهارة الجسد والطهـــارة فى كل شىء » وحتى تعرف ذلك ألا ترى الأشرار يملكون خيرات الارض بكثرة . ويعوزهم غنى الرب إذ يرعاهم ؟

« إن لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه فذلك الشرير يموت بذنبه . أما دمه فمن يدك أطلبه » .

حز ٣٣ : ٨ .

اذا كنت ثقيلا عليكم مثل حمل فلا تجزعوا . . . انتبهوا الى نفوسكم والى التعليم لانكم ان فعلتم هـــذا سوف تخلصون وتخلص أيضاً الذين يسمعونكم . . .

ومن أجل هذا كنت أعظ بشـــدة . . . حتى قبل انى عنيف . . .

تعملون كل نجاسة وكل أمر ردىء أنتم الذين أسلمكم روح الله الى الإزدراء . مثلكم مثل الذباب الطائر اذا مات ضاع منه

زيت العطر . منع وضاعت منكم الحياة التى يحفظها المسيحيون فى أنفسهم . أفلا تستطيعون أن تبكتوا أنفسكم بواسطة هذه الهوام الصغيرة . لنقل نحن أيضاً لكل فرد فيهم أينما كان إذ لا يريد أن يؤمن فيكان من أعوان الشيطان أن نصيبهم ما هو مكتوب « سوف يصيرون فنص الثعالب » .

العـــزة لا تعطى للحيوانات المفترسة ، يرعاها الراعى ، لكنها اذا ماتت تصبح لها تستعملها كطعام ويعطيها الراعى اياها . . . هل للشيطـــان نصيب فى الناس ؟ حاشا ـ لان كل الخليقة ، ليس الناس فحسب بل أيضـــاً الحيوانات والوحوش المفترسة والطيور والحيوانات التى فى المياه والزواحف وأيضاً الثعابين قد أوجدها الله ، وأنه اذا كنتم تموتون فى جحودكم وعدم أمانتكم فإنكم تصيرون نصيبـــاً للشياطين ومسكناً للأرواح النجسة . . .

كل من يصادق من لا يحب الحق ولا يقبع كلمة الله يضار كثيراً . . . إلام تفتقرون أو ما هى الأشياء التى أنتم فى حاجة إليها حسب مقاييس هذه الحياة حتى يوجد بينـــكم سارقون لا يشبعون يجرهم الشيطان الى أن يفتكروا فيما للجســـد حتى

يموتوا أو يميتوا آخرين معهم فى كل تعد منذ البدء حتى الآن .

.. لقد أغضبتم اسمه القدوس .. صعد كبرياؤكم اليه فى كل زمان ، رفعتم قرنكم ضد السماء ، كلمتم الله بعنف .. كل الذين يصنعون الشر سوف يتفرقون ، وأيضا سوف يفنى الخطاة من على وجه الأرض ..

لقد تكلم الله مرات عديدة بطرق شتى مع قديسيه موصيا اياهم أن يصنعوا إرادته ، ولكنه مرة واحدة فقط أمر نوحا أن يبنى الفلك فأتم نوح عمله ونجا من الغضب الذى سقط على الأرض هو وكل بيته والطيور والحيوانات .. ونحن الذين نصنع الشر لم نطع بعد كل هذه الكلمات التى تأتى من الله أو نصنع عمل حق نخلص به .

انها مرة واحدة قال الله لابراهيم أن يقدم له ابنه الحبيب محرقة فصنع سريعا ما أمره به الرب ، لأنه كان يحبه أكثر من ابنه . ونحن حتى الآن لا نطيعه فى كل كلمـــاته فنقدم له جسدنا كذبيحة بكل طهارة وكل محبة . والملائكة لم تكلم لوطا بكلمات عديدة لتجعله يهرب خارج تلك المدن التى أحرقها الرب بنار من السماء ، ولكن لوطاً صنع ما أمر به بسرعة ، ونحن لم نطع الله

فى كل كلماته لكى نهرب من كل شر ونكمل كل عمل صـــالح. إنها أيضا كلمة واحدة قالها الرب لتلاميذه : اتبعونى ، سأجعلكم صيادين للناس ، فتركوا شباكهم بسرعة وسفنهم وعملهم وتبعوه وهكذا نالوا هذه الكرامات والأمجاد العظيمة . . ونحن لم نطعه فى كل هذه الأقوال ، حتى نترك وراءنا رغباتنا وخطايانا لكى نصبح مستحقين لرحمته وبركته .

ان الأبرار منذ آبائنا القدماء الى آبائنا الرسل لم يعصوا الله ولم يفعلوا كل إرادته فحسب ولكنهم أيضا حثوا الآخرين معلمين إياهم طرقه كما هو مكتوب : « فأعلم الأثمة طرقك والمنافقون اليك يرجعون » . .

ألا يجب علينا أن نصنع مشيئته بقلبنا مثل أولاد سوف يرثون ملكوت أبيهم الذى فى السموات ؟

مرات عديدة بسبب هؤلاء قلت فى أسى وقلبى مملوء حزنا :

« يا الله سيد الكون يسوع المسيح أضرع اليك بكل قوتى ، فى شدتى ، إذا كنت تشاء أن تبقينى فى هذا الدير فلا تسمح أن أموت فى الوقت الحاضر . لا تجعلنى غريبا عن هذا المكان سريعا

الى أن اراك يا الله تؤدب المستكبرين الذين يأكلون لحم الأسد الشيطان ، الذين يشربون دمه ، أعنى الشرور والشهوات والحقد والعصيان والجهل والآثام والسرقات والأكاذيب والمكر - وفوق كل شىء الكبرياء والافتخار وكل الشرور الأخرى .

مرات عديدة قلت بسبب هؤلاء وأنا ملقى على الأرض على وجهى :

« يا الله اتضرع اليك من كل قلبى وبكل فكرى إذا كنت اعنف الذين يحزنون نفسى بدون سبب ، إذا كنت حقا أنا الذى أكرههم أو أحسدهم وأسمع ما يقال ، إذن فليأت على كل حزن وكل عذاب وكل عار لأن هذا هو الجزاء ، إذا كنت بدلا من أن أحب قريبى كنفسى قد كرهته ، ولكن إن كنت لا أريد بهم إلا خيراً وخلاصا لنفوسهم فى يوم الدين كما أنت تعلم ، إذن علم هؤلاء بالحزن والتنهد والألم دون راحة ولكن ليس يا سيد ، ليس فى غضبك كما هو مكتوب ، حتى لا تجعلنا ضعفاء فى غضبك ولا بسببى لأنى حقا غير صـــالح أمامك يا سيد إذ عنفت نفسى وحدى وسط كل الشرور ، أرجو أن أكون غير مخطىء بهذه الكيفية كما تعرف لأنك أنت الذى تفحص قلبى وكليتى .

مرات عديدة بسبب هؤلاء حينما اقترب من الدير أكون مثل رجل رماه أعداؤه بالسهام حينما أفتكر فى أمثال هؤلاء الناس، ليس لأنى أكرههم- حاشا - ولكن لأنى حزين من أجلهم عالما بأن الله غاضب عليهم ولا يقبل ما يفعلونه فى كبريائهم وفى تزمتهم ومعرفتهم الباطلة وكل أعمالهم الشريرة التى يعملونها فى جهادهم وتذمرهم ضد الذين يعلمونهم، لأنهم لم يدعوا أنفسهم يتعلمون من الكتب قط.

مرات عديدة قلت فى قلبى بحزن بسبب هؤلاء إنى مصمم أن آكل خبزى وحدى مفترقا عن الدير ماشيا بطريق مثل غريب لكن كنت أعود وأنصح نفسى وحدى أن أفعل العكس حتى لا اعثر أمثال هؤلاء فى عمل آخر. لأنى ما كنت أريد أن احزن سائر الإخوة أو الآباء لعلمى أن ذلك يؤلمهم جداً لأنهم رجال رحومين.

مرات عديدة استطعنا أن نقول كلمة تعزية أو صلاة الى الذين يستحقون كل بركة أو كل تعزية لأن ساعات كثيرة فى

اليوم جلسنا فى اجتماعاتنا وقلوبنا متأكدة أنهم لم يرعوا كلمة السيد حتى أتت عليهم تأديبات كثيرة بسبب الجهل والعصيان..

مرات عديدة أمضينا نصف الليل حتى ساعة الفجر، وأمضينا نصف النهار حتى الظهر، وأمضينا كل اليوم نتكلم ونؤنب ونصلى ونعزى ونبارك ونجاهد قائلين كلمات فيها زجر وفيها سلام، ثائرين لكن جسورين رحبى الصدر، منقلبين بضيق وحزن باكين بالدموع لكن مستبشرين فى تعزية، وفى خوف الله عالمين اننا نكون مخطئين إذا ضحكنا فى هذه الظروف لأن ضحكنا يجب أن يتحول الى حزن كما هو مكتوب، بل اننا نفرح أيضا فى الرب كما هو مكتوب..

نجلس مجتمعين ونقول: «أين أصدقاؤنا من الخارج الذين كانوا يأتون الينا ويسمعوننا ملاكمة؟ أين هم ليروا شرورنا ومكرنا وكل أعمالنا الشريرة، يرونا نسلك بغير لياقة، الواحد فى عداوة للآخر بسبب كبريائنا وجهلنا وعصينا الكلمة المكتوبة: «لتتبع السلام وكل ما هو للبنيان الواحد مع الآخر»... تارة كنا نقول كلمات قاسية ومثقلة، وطورا كلمات لينة وخفيفة. تنذر بغير هوادة حتى يغفر لقريبه من له دين، ويتضع أمامه

ليس عن اضطرار بل بقلب صالح ، اتقاء غضب الله وانتقامه على الذين قيدهم العدو بسلاسل فشابهوا يهوذا ، وعلى الذين لم يهتموا بالبعد عن كل عمل شرير حتى يكونوا متصالحين مع الله ولم يتركوا كل عداوة أو يعملوا صلحا مع القريب ..

مرات عديدة أيضا فى ألمى بسببهم لم استطع أن أقابل الذين يفدون الينا من الخارج ، ولولا انى وجدت - تبارك الرب - بعض الآباء الشيوخ الموجودين معنا الآن فأرسلتهم لكى يستقبلوهم ويقنعوهم فى كل شىء لاعثرت الكثيرين من ناحيتى كما لو كنت احتقرتهم . بينما لم يكن فى شىء من هذا . لكن كنت أرغب فى أن أراهم بل اكثر ما كانوا هم يرغبون فى أن يرونى أنا الغير مستحق .

كنت أجلس مع الآتين الينا ثم أتركهم لأدخل الى الدير لأقرر ما يتبع بشأنهم ، وكنت أضطرب حزنا كمن تتمخض فى الأوجاع لأنى ذاهب بعيدا عن الذين أتوا الينا لأقرر مصير هؤلاء التعساء .

أخيراً انتهيت فى حزن قلب - لأجل خلاص كثيرين -

وقلت وكل الإخوة يسمعون انتا لا نرى شيئا آخر نعمله سوى أن نفصل الخاطئين عن القديسين (١) .. كما فعل الرسول مع بعض الناس قساة القلوب الذين عصوا قديما .. ولذلك افترق عنهم الرسول القديس وأبعد الإخوة عنهم وهكذا كان يتكلم الذين يستحقون أن يتسموا أما اعداء الله المقيمين فى عصيانهم والغير التائبين المصرين والمجاهرين بشرورهم فكان لا يقول لهم شيئا لأنهم لم يكونوا مستحقين متذكرا قول السيد : « لا تعطوا القدس للكلاب » ، وهؤلاء وأمثالهم هم الذين يقول لهم « دمكم على رأسكم » .

وانتم يا أحباء المسيح أتريدون أن تعرفوا قلوب الذين يحبون الله لتكتشفوا جمال نفوسهم المملوءة من الروح القدس فى كل عمل صالح راقبوا فتحات الصخور المملوءة بالحمام والأماكن التى تسكنها . هذه الفتحات هى المسكن الوحيد للصغار وهى لا تتركها وحدها مثل قلوب الأصدقاء والأمناء ، انها واحدة مع السيد المسيح ، الجحر الذى يفيض عسلا ، لأن الصخرة هى

(١) هذه القضية تختص بالرهبان طبقا للقوانين التى ورد بدأها الشىء الكثير فى مقالات القديس .

المسيح ولم ينفصلوا عنها . ويقول : أعطاهم ليأكلوا عسلا من صخرة وزيتا من حجر تل ، ما هو العسل إن لم يكن المسيح ؟ وما هو زيت حجـــر التل إن لم يكن النعمة التى بها يخلص المسيحيون .

إذا اختلط الماء بالنبيذ يصبح واحدا معه ، وأيضا رجل الله إذا اشترك مع الروح القدس يصبح واحدا معه . من هى التى يقول عنها من يتكلم فى سليمان قائلا : صديقتى يمامتى الجميلة ان لم تكن الكنيسة التى تلد أولادها المسيحيين الذين يشبهونها. وعنها أيضا قيل : « صديقتى يمامتى الكاملة انها وحيدة بين يدى أمها المختارة فى يدى والدتها. ثم يقول أيضا : قومى وتعالى انت يا قريبة منى يا يمامتى الحسنة ، تعالى انت يا يمامتى فى حفـــرة الصخرة بالقرب من الحائط الخارجى ـ هذه الكلمة تشير الى الذى فى البهاء ، اشراقة النور ، الذى جاء الى العالم ـ المسيح ـ ان موسى كتب عنه فى الناموس ... على جمـــاله ومجده ونعمته وقوته . أيضـــاً انت طيبـــة يا صـــديقتى مثل الحب ، أنت جميلة مثل أورشليم .. وأيضا : « ها انك جميلة يا صديقتى

هانك جميلة ، عيناك عينا يمامة ، يعنى بذلك الانبياء والرسل المملوءين من الروح القدس ، وعنهم أيضا يقول : « ثدياك مثل توأمى الغزال ، أخوى لى مثل محبة مر حينما يكون بين ثدىّ ، سوف نحب تدييك أكثر من النبيذ ـ يعنى العهد القديم والعهد الجديد المملوءين من كلام الله .

† † † † † †

الفصل الخامس

من عظة لأنبا شنوده

على موالد الشهداء

ذكرنا فى صحيفة ١٣ من كتابنا كيف كان القديس بهم بنواح متعددة فلم يكن جهاده قاصرا على رفع شأن الرهبنة فحسب باعتباره رئيسا للأديرة لكن جهاده كان متشعب النواحى فى ميادين مختلفة :

كان يقاوم العادات الوثنية والتعاويذ والسحر والدجل الطبى.

كان يجاهر بالحق ويدافع عن الإيمان المستقيم ويقاوم الهرطقات التى وقعت فى أيامه .

كان محباً للعلم والتعليم ، فلم يكتف بتثقيف الرهبان فحسب لكن نور التعليم كان يشع للرهبان ولغير الرهبان ، يفتح أبواب أديرته للجميع ، فى أوقات معينة - لحضور القداسات وسماع العظات والتعاليم المقدسة .

كان صارما على نفسه شديد النسك والتقشف كما رأينا فى خبر نياحته .

كان يميل للتوحد فى أخوف الصحارى وأرهبها - فى أوقات كثيرة - حتى صار يلازمه بحق لقبه المعروف (رئيس المتوحدين).

كان يسعى لرد الظلم عن المظلومين ويعتنى بالفقراء والمعوزين.

وفى ميدان البدع الاجتماعية التى كانت متفشية فى أيامه كانت له مواقفه المشهورة ..

ونأتى هنا على جزء من عظة له على موالد الشهداء التى سبق الإشارة اليها والتى تصور لنا تماما الحالة التى كانت فى أيامه بالنسبة للاحتفالات بأعياد القديسين والشهداء ، والتى يجب أن تكون بمنأى عن كل ما يشوه جمالها ويفسد الغرض من إقامتها .

إن هذه الأعياد الروحيـــة ينبغى أن يكون لها جلالها وروعتها ويكفى أن نشير الى القصة المعروفة فى تاريخ القديس البطريرك الأنبا بنيامين الـ ٣٨ (القرن السابع) فى حفـــل تكريس كنيسة القديس مكاريوس الكبير بديره ببرية شيهيت ومؤداها أن البطريرك - أثناء الحفل - شاهد راهباً متقدماً فى الأيام يلمع وجهه بنور القداسة ، وقال فى نفسه انه إذاً سمح الرب فى فرصة مناسبة سوف يقيمه أسقفاً ، لكن ملاك الرب انبأه للحال أن هذا الآب إن هو الا القديس مكاريوس الكبير جاء ليفرح مع أولاده فى هذه المناسبة السعيدة المباركة ..

العظـــة

« جميل جدا (١) أن يذهب الإنسان الى مقر الشهيد ليصلى ويقرأ وينشد المزامير ويطهر نفسه ويتناول من الأسرار المقدسة فى مخافة المسيح ، أما من يذهب ليتكلم ويأكل ويشـرب ويلهو ، بل ربما يزنى ، ويرتكب الجـرائم نتيجة افراطه فى الشراب والبغى والفساد والإثم فهذا هو الكافر بعينه ، وبينما البعض فى الداخل يرتلون المزامير ، يقرأون ويتناولون الأسرار المقدسة إذ بآخرين فى الخارج يملأون المكان بآلات الطبـــل والزمر ، بيتى بيت صلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص ، لقد جعلتموه سوقا لبيع العسل والحلوى وما اشبه . لقد جعلتم الموالد مكانا لتدريب بهائمكم ولسباق حميركم وخيلكم . قد يسرفون ما يعرض فيها للبيع . فبائع العسل بعد جهد يحصل على بعض الزبائن المتشاحنين ، أو يستخلص لنفسه شيئا من الفائدة نظير أتعابه . حتى الأشياء التى لا يمكن أن تحدث للباعـــة فى الأسواق العامة تحدث لهم فى موالد الشهداء . يا للغبـــاء ! هل

(١) كتاب صفحة من تاريخ القبط ص ١٩ .

تذهبون لمواطن الشهداء لتأكلوا وتشربوا وتبيعوا وتشتروا وتفعلوا كل ما يروق لكم . فأية فائدة تعود على بيوتكم التى فى مدنكم أو قراكم ؟ يا لعقولكم المغلقة ! وإذا كانت بناتكم وامهاتكم يطرن رقصا ويكحلن عيونهن ويتجملن لخداع الناس الذين ينظرون اليهن ، وإذا كان ابناؤكم واخوتكم واصدقاؤكم وجيرانكم يفعلون هكذا عند ذهابهم الى مواطن الشهداء ، فلماذا جعلتم لكم بيوتا .

هناك كثيرون يذهبون الى الموالد لإفســـاد هيكل الرب وليجعلوا من أعضاء المسيح أعضاء للإثم والفجور بدلا من أن يحفظوا لها قداستها وطهارتها من كل رجس ، سواء أكانوا رجالا أم نساء ..

† † † † †

الفصل السادس

تفاسير للقديس

١

الله ليس إله أموات بل إله أحياء ..

التفسير

« الله ليس إله أموات » أكل الذين ماتوا غرباء عن الله ؟ وهل كل الذين يحيون هم لله ؟ إذا كان الله إله الأحياء فقط وإذا كان ليس إله الأموات إذن كيف استطاع الرسول أن يقول : « ليس أحد منا يحيا لنفسه وليس أحد منا يموت لنفسه لأننا إن عشنا أو متنا فللرب نحن » لأنه لهذا مات المسيح وبحيا لكي يكون سيد الأحياء والأموات . لذلك حينما يقول : « الله ليس إله أموات » فعن الذين ماتوا في الدنس والنجاسة والسرقة والكذب وشهادة الزور والقتال والخصومات والحسد والحقد والعداوة وعدم الإيمان وكل عمل شرير - هكذا قال الرب يسوع في هذه الكلمات : « الله ليس إله أموات بل إله أحياء » في الطهارة في الكرامة والعدل وكل عمل صالح ..

٢

لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطية ولكن الآن تقولون إننا نبصر خطيتكم باقية .

يو ٩ : ٤١ .

النفس الشبعى ترفض العسل (١) كما هو مكتوب وأيضا العين العمياء لا تقبل النور بسبب ما بها من الظلام . انها العيون المضيئة بالنور هى التى ترى النور أو تقبله ، أما العيون التى غشيها الظلام فلا تبصر وهى فى ظلام ولا يمكن أبدا جعل العين التى لا يوجد فيها نور أو التى فقد نورها ترى النور ، وكذلك أيضا لا يمكن أن ترى يسوع يفتح عينى الأعمى ، ذلك الذى جاء الى العالم حتى يرى الذين لا يرون وحتى يبصر من كانوا عميانا ، يقولون ، هل نحن أيضا عميان . فيسمعون هذه الكلمة الحزينة ، لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطيئة لكنكم تقولون انكم ترون خطيئتكم ثابتة ، .

---

(١) هذا التفسير ترجمناه عن

Œuvres de Schenoudi Tome I Fascicule I .

ان أولاد الملك المسيح الرب يسوع هم فى النور كما هو مكتوب ولكن الأشرار هم فى الظلام ، مثل إنسان دخل مكانا مظلما يسوده الظلام حتى الذين ينظرون اليه لا يرونه . هكذا يكون رؤساء الأمم الغير مؤمنين منذ البدء الذين انغمسوا فى مكان الظلام أى الشيطان ومشوا فى زواياه وغرفه وقد احاطتها دوامة كل شر فغمرهم الظلام الدامس مثل بيوت مبنية تحت الأرض ليس فيها شعاع صغير من النور لأن الله قد تركهم ، النور الحقيقى يسوع الذى ينير أولاده الذين يؤمنون بالنور ويسيرون فى النور فى كل زمان كما هو مكتوب ، مثلهم مثل إنسان جرى خارج مكان قفر ومظلم الى مكان مستنير يحيط به عدد من المدن ، هكذا كان آباؤنا القدماء ابراهيم واسحق ويعقوب مع الذين كانوا قبلهم والذين كانوا بعدهم ، جروا كلهم خارج الخطية التى كانت فى العالم نحو المعرفة الحقيقية وكانوا تحت ظل الرب إله السماء ، ومثل ما ينير النور الظلام دون أن تعرفه الظلمة ، هكذا اضحى جنسهم كله منذ البدء والى الآن يتألق بالأعمال الصالحة دون أن يقوى عليهم الهراطقة .

† † † † †

(٣)

« إرفعوا رؤوسكم وانظروا الحقول انها
قد أبيضت للحصاد » .

يقول فى إنجيل يوحنا : « انظروا الحقول انها قد أبيضت للحصاد » . هل يتكلم عن حقل حقيقى أو لا يتكلم عن الشعب ؟ لأنه يقول : « صلوا لكى يرسل الرب رسله ليحصدوا » يرسلهم لكى يعلموا كل الأفكار ، لأننا مكان حرث الرب (كما قال الرسول) للحياة الأبدية ـ وأيضاً كرمة كما قال : « كرمة للملك سليمان . . . وتوجد أمكنة كثيرة فى الكتب المقدسة تبين أننا الكرمة ، كما يعلمنا السيد المسيح لأنه أخذ الكرمة من يد الكرامين الذين لم يعطوه من ثمرها وأعطاها لآخرين يعطوه ثمرها فى حينه . هى شعب لأنه تعلم من معلمه المسيح ، وهى أيضاً تنشر التعليم وتعلم الجموع الجاهلة وهى تثقف وتبشر البعيدين والقريبين أيضاً . إنها راعية ترعى الناس بكلمتها التى يوحى بها الله إليها إذ يصرخون إليه . ارع شعبك بعصاك ، قبائل ماعز ميراثك ، إنها تتقى من تلقاء نفسها فى الغابة . وعن الخراف يقول السيد «خراف تسمع صوتى وتتبعنى» ، وأيضاً : لى خراف أخر ليست من هذا القطيع وهذه يجب أن أحميها . فيها الطيب

والراعى كما يقول الكتاب : « . . . وآخرون رعاة وآخرون أطباء لأجل القديسين » والتلميذ كما يقول السيد « ليس تلميذ أعظم من معلمه ، يكفى أن يكون كمعلمه . . . . وعن الباب الذى يدخل منه الكثيرون إلى الحياة يقول : « أنا هو الباب إن دخل أحد بى يخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » . الكنيسة حصن له ، سور يحميه ، حوله وأمامه مصنوع من الفضة مثل ما هو مكتوب : « إذا كان حصن فسوف نحيطه بحاميات من الفضة . . . » وهى أخت : « من يصنع إرادة أبى هذا أخى وأختى » وهى صديقة كما قال السيد : « أنتم أصدقائى إن فعلتم ما آمركم به حقاً لن أدعكم عبيداً بعد ، ولكن سوف أدعوكم أصدقائى » .

ويقول عنها فى موضع آخر : « جعلتك كأب لأمم كثيرة ترجو الله » وعنهم : « تعالوا يا أولادى إنصتوا إلى فأعلمكم مخافة الرب » ويقول الرسول أيضاً : « أولادى الذين أتمخض بهم . . . . »

هى الكنيسة الجامعة التى تسير فى الطريق الحقيق للرب ، والتى سوف يدخل بها جموع إلى الحياة ، هى نور يسير فى النور الذى جاء إلى هذا العالم الرب يسوع ، وسوف يسير فى نورها

الناس كما هو مكتوب : « أنتم نور العالم » . وهى تدعو الناس للسير حسب كرامة السيد ، وهى أيضاً مدعوة لكى تسير فى كرامة الخدمة التى دعيت إليها فى كل تواضع وطهر . وهى ذبيحة حسب ما قاله بولس الرسول أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية طاهرة مرضية لله . هى مملكة وكهنوت وأمة مبررة وشعب للحياة حسب المكتوب أنها دائمة إلى الأبد مع الآب والإبن والروح القدس . . وحسب الأمثال وحسب الكتب أيضاً ، هو خطيب بكر ، صديق ، وسيد ، إنها الخراف وهو الراعى ، انها الذبيحة وهو رئيس الكهنة ، إنها الكرمة وهو الجسل ، انها نهار وهو الشمس ، هو الأول والآخر . . .

أما باقى شهادات هذه الكتب فهى مكتوبة فى الكتب ومن يقرأ بتفكير يستطيع فهمها .

(٤)

عن بيوت الله

اذا كنا ندنس الأماكن المقدسة ونتصرف بإهمال فالويل لنا فى دخولنا وخروجنا ، لأن أماكن جميلة فى طولها ومقاساتها وكل ما فيها يجب أن يسكنها أناس تكون مقاسات قلوبهم وأرواحهم جميلة . انها أماكن المسيح .

حسن أن يزين الخارج وأحسن منه أن يزين الداخل ، فمن الكنيسة الطوب والحجارة والخشب وباقى المواد التى تستعمل فى بنائها أشير اليها بالخارج والشعب الذى سوف يسكن فيها أو يدخل فيها أشير اليه بالداخل . وهكذا قيل : شيدوا أنفسكم مثل حجارة حية لبيت روحى من أجل كهنوت مقدس . . . . اذا كان البيت يظهر بيتاً كاملا يعيش سكانه فى انسجام كامل مع الذين يدخلونه أو يعيشون فيه يتقدمون ويظهرون أبراراً وأطهاراً فى بيت الله الطاهر ويصبحون خير قدوة وأفضل مثال للجموع الأخرى . . .

أما إذا دخلت لتسرق وتنهب فهل تظن أنك تعطى كأس ماء فى الأماكن التى فى السماء وأنت سارق فى هذه الأماكن . إذا لم تكن أميناً فى الأماكن التى تدخل اليها وسوف تتركها أيضاً ، كيف تكون أميناً فى الخيرات المستديمة . . .

لا يسكن أحد فى بيت قبل أن يبنى ، ولا توضع فيه أشياء ضرورية أو أشياء من الذهب والأحجار الكريمة إلا إذا شاهده الإنسان عن كثب منه وعاينه بعناية سائلا نفسه إذا كان يصلح للتأثيث أم لا .

لن يقال بيت أو بيوت الله قبل أن تبنى ، وإذا كان الأمر كذلك فلنعرف متى يسكن يسوع المسيح فى الإنسان ومتى لا يسكن فيه..؟

إذا كان قبيحاً أن يقال عن بيت فذر : «هذا بيت الملك» لا ولن يحسب أبدا ضمن بيوت الملك ، فمن يقول : « هذا بيت المسيح » عن رجل نجس؟ بيوت الملوك جميلة ولا تنسب البيوت الغير لائقة للملوك ، هكذا أيضا ينظر الى الذين ليسوا من الله ..

أليس الحجر ثقيلا ؟ هل هو أمر بالشيء البسيط أن يرفع الى أماكن عالية لكى يوضع فوق عامود؟ من الصعب أن يشد الجاهل خارجا عن اهوائه الحقيرة وأكثر صعوبة من رفع الشيء الثقيل، ويحتاج الى تعب وجهد حتى يعود الى طاعة المسيح ليجد رحمة فى يوم شدته ..

الناس ينظرون الى الزينة الخارجية للبيوت ولكن يسوع ينظر الى الزينة الداخلية للبيوت المبنية .

ما هو المكان الذى لايملأه يسوع فى السموات وعلى الأرض وبالاحرى بيته ؟ ولكنى أقول أيضا : أن البيت الظاهر هو بيت

الناس المعد لهم ليسكنوا به ولكن الداخل هو ملك المسيح يسكن به حسب ما هو مكتوب .

يكون الناس غرباء عن يسوع إذا جعلوا البيت غريبا عنه بالدنس . الله لا يسكن فى بيت لنفسه ولا يعوزه مكان سكن . سماء السماء وسموات السموات كرسيه . ألا ترون ماذا يقول الكتاب « سليمان بنى له بيتا » و « العلى لا يسكن فى صنع يد بشر » و « أى بيت تبنوه لى ؟ » أليست يدى خلقت كل هذه الأشياء ، ولكنه يسكن فيها من أجلنا إذا كنا أطهاراً .

إذا كان الله لم يرحم الذين كانوا يدنسون المكان الذى يقدمون له فيه العجول والماعز أو العصافير ، فهل يرحم الذين يدنسون المكان الذى يقدمون فيه له جسد ودم ابنه .. انه حقا يصبر علينا .

وإذا كان ذلك الشعب احتاج الى القصاص من حين لآخر فهل نتجو نحن الآخرين ! أما نحتاج أن يؤدبنا مرات عديدة ، واذا كنا نهرب منه فى هذا المكان فإلى أين نهرب منه فى ذاك اليوم ؟

يصير الإنسان باراً يتمتع بجمال البيت وتناسق بنائه ونصير نحن كذلك بل سوف نخلص اذا كنا نحفظ العدل ونطيع كتبه وقوانينه .

٥

بضيقات كثيرة ينبغي أن تدخلوا ملكوت السموات ..

إذا كنت تخشى السهام فانك لا تستطيع أن تقف في المعركة ولكنك سوف تهزم . إذا كنت تخشى استهزاء الناس فلن تستطيع أن تفصل كلمة الحق باستقامة ولكنك سوف تلبس ثوب الرياء كما يفعل كثير من الضعاف عندما يصيبهم الجرح أو هذه الضربة . إذا كنت تخاف أن تجرح يدك أو رجلك أو أي عضو آخر في جسمك فلا تقدر أن تجاهد حتى تأخذ الإكليل ، لأنه ليس أحد يأخذ إكليلا إن لم يجاهد . إذا كنت تخاف أن ينطق الناس كلمات سيئة ضدك ، أما من جهة الذين من لا يخشون الوقوع بين يدي الله ، فبدلا من أن يقولوا الحق يكذبون ، يخجلون من الناس أكثر من الله ، ويرجون مجد الناس أكثر من مجد الله .

إن للجندي اسلحة ويمكنه أن يرمي السهام ، أنت أيضا إحمل الحق حتى تقول لك الكلمة : عدله يحيط بك مثل السلاح . فلا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار ..

إذا كنت تريد أن تطفيء نارا سريعاً فاسكب عليه ماء ، خذ درع الإيمان الذي به تستطيع أن تطفيء سهام الشرير الملتهبة . المجندي له منطقته يلبسها في المعركة . أنت أيضا اعطيت منطقة الحق لتتمنطق بها ، وفوق كل شيء تشجع لأنك لبست المسيح .

من الذي يستطيع أن يحزنك إذا كنت ترغب في أن تغلب كل حزن وكل كآبة ..؟

إذا كانوا جدفوا على المسيح بسببك لأنه أتى لكي يخلصك من كل شر فذلك لكي تمجده بحسب ما قيل : « بهم أي من ناحية الأشرار والخطاة يجدف ، ولكن بهم أي من ناحية الجنس المبارك يتمجد . كيف لا يشتمونك من أجله ؟ ينبغي أن يأخذ المجد بك إذا كانوا يحتقرونك من أجله ..»

من أجلك أنت اذا كانوا كذبوا نحو المسيح حسب ماقيل: كذب أعداء الرب ضده ، كيف لا يكذبون ضدك من أجله ؟

إذا كانوا قالوا كلاما شريرا وتفوهوا بالشر على الله الذى خلقهم . كيف لا يقولون عنك كلاما شريرا ؟ إذا كانوا نسبوا خطية للذى يرفع خطية العالم يسوع حسبما قال رؤساء الكهنة : تذكرنا أن هذا المضل قال وهو حى : سوف أقوم بعد ثلاثة أيام : كيف لا يدعونك مضلا ؟ إذا كانوا أيضا شهدوا زوراً ضده حسب ماهو مكتوب : وكان كثيرون يشهدون زوراً عليه، كيف لا يتهمونك زوراً . فقد حدث هذا لكل القديسين ، لقد كذبوا ضد يوسف فى بيت المصرى ، الى أن سقط فى ضيقات كثيرة ولكن الله لم يتركه . كذبوا ضد سوزان . ومن الذى كذب ؟ كهنة وشيوخ وقضاة ولكن الله لم ينس تضرعها وصلاتها لقد كذبوا ضد اسطفانوس ورجموه وقتلوه ، ولكنه رأى السموات مفتوحة ورأى مجد الله والرب يسوع عن يمين الله ، وفوق كل شىء كيف هو الآن فى مجد .. فلا عجب أن يقال كلام قاس ضدك ، فهذا ليس بأمر جديد .

لم يحربوك بالعذابات وبالسيوف مثل الرسل الذين تركوهم شبه الاموات ، وجروهم بعنف وطردوهم خارج المدينة ..

لم يلقوك فى السجون مثل هؤلاء ، وقد قتلوهم منذ هابيل

الصديق الى زكريا بن براشيا وسائر الشهداء الذين سفكوا دماءهم.

لم يقولوا شراً ضد كل القديسين فحسب بل احتقروهم وكذبوا ضدهم .. وقتلوا معظمهم .

أليسوا عبيدا قبلوا الاحتقار من أجل اسم سيدهم ؟ أليس سيدهم احتقر من الأشرار لأجل خلاص عبيده ؟ اولئك الذين أغشت القساوة أعين قلوبهم فأوثقوه مثل لص . فانت أيضا إذا أوثقوك من أجله لا تعثر . لقد احتقروه وبصقوا على وجهه وغطوا وجهه ولطموه وضربوا رأسه بالقصبة ، وفى عطشه سقوه خلا ووضعوا على رأسه اكليل شوك وسمروا رجليه ويديه على الخشبة واهانوه على الصليب قائلين : « انزل لكى نؤمن بك » ، وبعد كل هذه الشرور التى قالوها وفعلوها به طعنوا جنبه بالحربة .

أما كان يستطيع أن يجعل الارض تنفتح وتبتلع جميع هؤلاء الاشرار الذين كانوا يحيطون به مثل مجموعة من الكلاب، ولكنه كان ينظر الى الجموع الذين يؤمنون به .

انت أيضا إذا وقعت فى أيدى الاعداء الذين افتكروا فى

قلوبهم بالشر ضدك من أجله أو سنوا ألسنتهم مثل السيوف ، سم الثعبان تحت لسانهم ، كما هو مكتوب ، لا ترد بالشرور .. لكن انظر الى ازدياد العدالة ومجد الرب الذى يتقدم وينتشر على كل الأرض والى الرائحة العطرة التى للأعمال الصالحة فان رائحتها أفضل من كل بخور ، ولسوف يؤنب الذين جدفوا على يسوع ، وحقاً قد أتى الهلاك عليهم وسوف يأتى أيضا ، وسوف يؤنب كل الذين يصنعون هذه الشـــرور .. لأنه يقول : ها أن الرب سوف يأتى أيضا مع ألوف الملائكة القديسين لكى يدين كل أحد ويؤنب كل روح من أجل كل شىء تنجسوا فيه ومن أجل كل الكلمات القاسية التى تفوهوا بها ضده ..

† † † † †

الفصل السابع

عظة على القيامة

والتوبـــة

عظة على القيامة:

والتوبة

يا لعمق هذه الاعجوبة التي لا تقاس ! العظام المتناثرة وتلك التي أحرقتها النيران ، الأجساد التي اكلتها الحيوانات المفترسة أو الطيور الجارحـــة ، وتلك التي أنتنت في جوف الارض ، كلها سوف تسمع صوت ابن الله وتجتمع بغيرها ،كل منها مع مايخصه فيغطيها اللحم والمفاصل ، ويبسط جلد عليها ، وتدخـــل فيها الانفس - يحيون ويقومون في حضرة الذي أرهم كما قال النبي حزقيـــال :

« كانت على يد الرب فأخـــرجني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاما ، وأمرني عليها من حولها وإذا هي كثيرة جدا على وجه البقعة وإذا هي يابسة جـدا ، فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام ، فقلت : « ايها السيد الرب أنت تعلم » فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها : « ايتها العظـــام اليابسة اسمعي كلمة الرب » .

هكذا قال السيد الرب لهذه العظام . هأنذا أدخل فيكم روحا

فتحيون ، وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحما وأبسط عليكم جلدا ، وأجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون اني أنا الرب ، فتنبأت كما أمرت وبينما أنا اتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم الى عظمه ، ونظـــرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح ،فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الاربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا ، فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدا جداً ، ثم قال لي يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت اسرائيل ، هاهم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا ، قد انقطعنا ، لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب ، هأنذا أفتح قبوركم واصعـــدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم الى أرض اسرائيل ، فتعلمون اني أنا الرب عند فتحي قبوركم واصعـــادي إياكم من قبوركم يا شعبي . وأجعل روحي فيكم فتحيون وأجعلكم في أرضكم فتعلمون إني أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب » حزقيال ٣٧ : ١-١٤ .

انظروا أمر الله الذي سوف يجعل الاموات يقومون في الحال . ولاحظوا أيضا تجاســـركم ايها المقيمون في خطاياكم . يا لعمى القلب الذي يسيطر علينا !! كل عظم من العظام اليابسة

سوف يعرف الآخر ويقترب منه دون أن تختلط بعضها ببعض ، العظام تقترب فتكسوها المفاصل ويغطيها اللحم ويقبسط عليها الجلد ويدخل فيها روح فتحيا .

ونحن حتى الآن لا نطيع فيخرج كل منا عن أعماله الشريرة التى يتمرغ فيها ، مثلنا مثل عظام يابسة مرفوضة من القبور .

سوف تغطى العظام اليابسة ، يكسوها اللحم ويقبسط عليها الجلد ، ومع هذا فإن المشاعر والأفكار الصالحة والإيمان قد يبست عند كل الهراطقة ، وقعت على الأرض مثل أوراق . يدخل الروح فى كل الأموات فيحيون (١) . أما روح الله

(١) شرح بولس الرسول قيامة الأموات فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ص ١٥ : ٣٥ - ٥٣ هكذا قائلا :

« لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ، يا غبى الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت ، والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى ، ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد ولكل واحد من البذور جسمه ، ليس كل جسد جسداً واحداً بل للناس جسد واحد وللبهائم جسد آخر ، وللسمك آخر وللطير آخر ، وأجسام =

القدوس فيبتعد عن الوثنيين والهراطقة ، إذ قد خنقهم روح

= سماوية وأجسام أرضية . لكن مجد السماويات شىء ومجد الأرضيات آخر . لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد ، هكذا أيضاً قيامة الأموات ، يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد ، يزرع فى هوان ويقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً . يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى ، هكذا مكتوب أيضاً . صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً . لكن ليس الروحانى أولا بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى ، الإنسان الأول من الأرض ترابى ، الإنسان الثانى الرب من السماء ، كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً ، وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً . وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى . فأقول هذا أيها الإخوة أن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله . ولا يرث الفساد عدم الفساد .

هوذا سر أقوله لكم . لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير . فى لحظة ، فى طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير ، لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت . . .

شرير فى عدم إيمانهم وتجديفهم على الله وعلى مسيحه ، وكل أعمالهم المكروهة الأخرى .

يقوم الذين ماتوا ليس فقط من ماتوا منذ أربعة أيام وكانت رائحتهم كريهة مثلما قام لعازر ، بل الجميع يقومون . . . كلهم من أول بار - من هابيل الذى قتله قايين حتى الذين يموتون إلى إنقضاء الدهر .

+ + + + +

ألا تخجلون أيها الهراطقة ، ألا تعلمون أنه يجب أن تقوموا من الأموات وتؤمنوا بمن خلقكم . إنكم أنتم الذين تعبدون الأباطيل فى عماكم أكثر من اليهودى المبتدع فى شر أبيه الشيطان ، ذلك الذى لم يكفه أن يكون عثرة بل تجدفون على الرب يسوع إلى الآن ، كما شتموه أيضاً فى ذلك الزمان بكلماتهم وبحياتهم ، كما هو مكتوب . بكلماتهم المملوءة حقداً حينما كان معلقاً على الصليب لأجل خطاياهم . ألم يقل الرب يسوع بغضب لهؤلاء ولكل من لا يؤمنون به فى كل زمان ، أنتم من أبيكم الشيطان ، لأن هذا جاء منتفخاً فى شكره لذاته قائلا سوف أكون مساوياً بالله ، سوف أكون شبيهاً بالله العلى وما كان يدرى أنه هابط

إلى الجحيم حسب ما هو مكتوب . . . وكل الهراطقة أيضاً وأولئك الذين يجدفون على الله ومسيحه جاءوا كما هو مكتوب ، مرتفعى القلوب يغشاهم عنفهم وعدم تقواهم ، يتعالون على المسيحيين حاسبين أنفسهم مساوين لهم فى الصلاح وهم كثيرة لا يعرفون أن الرب يسوع سوف يتتبعهم كراع ، فهو يتبع الذئاب ويبعدها عن حظيرته حتى يذبحها ويطردها من وسط نعمه .

قال الشيطان : « سوف أتساوى مع الله » . ومنه تعلم الهراطقة أن يقولوا للمسيحيين : « إبتعدوا عنا لاننا أطهار » ، بينما هم نجسون . فطبيع الغنم المبارك ينصت إلى صوت الراعى الصالح يسوع وهم يتبعونه فى كل عمل عدل كما قال : « خرافى تسمع صوتى » ، ولكن الهراطقة ينصتون إلى أفكار العدو الغريب ويتبعونه فى كل غش . الرب يسوع تواضع وأخذ شكل العبد مع أنه سيد كل الخليقة ، كما هو مكتوب تواضع وأطاع حتى الموت . هكذا أيضاً تبع المسيحيون تعاليمه كما هو مكتوب .

يبدو الإنسان حسناً فى نظر الذين ينظرون إليه مادام حياً فى الجسد ولكنه يمسى قبيحاً للغاية فى عين من يرونه ميتاً

وملق فى القبور . هكذا الإنسان أيضاً يكون حسناً أمام الله إذا رآه يحيا فى البر ولكنه قبيح للغاية أمامه إذا رآه يقيم فى خطاياه . كمثل أجساد ميتة ثلاثة أعضاؤها وسقط منها الواحد بعد الآخر ، يكون الخطاة الذين هلكوا وسقطوا على الارض الواحد تلو الآخر بسبب الشرور فيقضى عليهم جميعاً . . .

مثل أعضاء الذين ماتوا فى الخطية وهم فى فم الشرير ، مثل أعضاء الاجساد الميتة فى أفواه الحيوانات المتوحشة .

من هو الإنسان الذى يرضى أن يموت قبل الوقت الذى حدده الله لأيام حياته ؟ إنه ذاك الذى يستمر فى شروره ولا يريد أن يخرج عنها برضاه الكامل فهو يحب الموت فى كل شر ، وسيجازى حسب أعماله .

كل الذين يعيشون فى اليسر لا يرغبون العيش ضعافا فى شيخوخة ، هكذا أيضا المؤمنون ، انهم لا يرغبون فى الحياة الا فى الحق وفى كل بر الى يوم يشخصون فيه أمام الله الذى يجازى كل أحد حسب أعماله فى العدل والحق ، لان سيدنا يسوع المسيح مات لاجلنا لكى نقوم ليس فقط بالجسد من الاموات فى اليوم الاخير ولكن لكى نقوم أيضاً الآن من موت الخطية .

هب أن واحداً من القديسين القدماء حضر الآن وقال لبعض الاموات الذين مكثوا منذ زمان طويل فى المكان الذى دفنوا فيه واتحلوا فى الأرض ، قوموا ، فحيوا لكن يجد صنيعه بعضهم واستنكره البعض الآخر ، ترى ماذا يفعل ؟ أعانه يمنح من يستحقون ، أن يكونوا فى حياة سعيدة ، وأما النجسون فيكسوهم الخزى ويسلمهم الى الموت مرة أخرى . هكذا الذين ماتوا فى الخطية فإنهم بعد ما عاشوا طويلا فى الشر ، وأضاعوا حياتهم فى كل نجاسة قد يحدث أن يقوموا من موت الخطية بأمر الذى مات لاجلنا وقام - لكن البعض يستمر فى التوبة ممجداً الله من أجل خلاصه ومن أجل البركة ويمسى البعض الآخر جاحداً لا يعرف من الذى أحسن اليه ، وما هو الشرف الذى يمنحه الرب يسوع للذين أكرموه فى آلامهم الحقيقية كما هو مكتوب : وأبكار فواكه العدل . فينعمهم الحياة الأبدية ولا يموتون فى الخطية فيما بعد بل يحيون أيضا فى العدل ويقومون جسديا ليحيوا الى الأبد - فكم يكون الإزدراء الذى سوف يعاقب به الآخرين سوى أن يسلمهم مرة أخرى الى نجاستهم ، يسلمون الى الجحيم بسبب خطاياهم الى يوم القيامة .

من من الذين يخافون الله يرى أمواتا فى قبورهم ولا يحزن ،

بل من من الأنبياء والرسل يرى الأشرار وقد ماتوا فى شرورهم ولا يحزن من جهتهم ؟

من من الذين اخطأوا يسره الذهاب الى الجحيم بعد القيامة من الأموات ؟ من من الذين قاموا من موت الخطية وتابوا عن كل شرورهم يسر بالعودة مرة أخرى الى شروره ؟

من من الذين يستحقون رحمة الله العلى لايرغب فى الدخول إلى الحياة عند القيامة من الأموات ؟ من من الذين يخافون الرب الذين أقامهم من الأموات لايريد أن يستمر فى كل عمل صالح ؟

من لايقول : « نجس هذا الكلب الذى يعود الى قيئه مرة أخرى ؟ » .

من لايقول : « مكرهة عند الله أن يعتمد الإنسان باسم الآب والابن والروح القدس ثم يعود مرة أخرى الى خطئه وعدم إيمانه ؟ » .

الويل لكل الهراطقة الذين لايؤمنون بالله ومسيحه يسوع ولم يتوبوا بعد

الويل للسحرة ، الويل الذين يأخذون جسد ودم الرب

ون أن يكونوا قد خرجوا عن أعمالهم الشريرة ، الويل لليهودى

والهراطقة والذين يستهزئون بأسرار الله أو بأعمال العدل أو تلك

التى يمارسها المسيحيون .

الويل لكل من يعتمد بالمعمودية المقدسة التى لربنا وهو

ر فقدين . الويل لمن يقرب يده من فمه ويقبلها وهو يقول :

السلام ايتها الشمس ، كن منتصرا أيها القمر ! ، مباركا بذلك

مخلوقات ومعجداً إياها أكثر من الخالق فى حين أنه يجب أن

يعطى المجد لله القادر على كل شىء الذى صنعها لكى تنير الأرض.

الويل لمن يشكر الشياطين ـ ذكراً كان أو أنثى ، ويقولون

لها عبادة بمناسبة العيد ، عيد القرية أو عيد البيت فيشعلون

مصابيح إكراما للأباطيل ويبخرون باسم الأشباح ! . يقولون

الرب يسوع ليس هو إله .. » . فليربط لسان القائل بأصابع

جله ويلق فى بئر الجحيم حتى تبتلعه الهاوية .

ملعون من يعبد خليقة أخرى أو يقدم لها ذبائح أو أية ضحية

واء أكانت خليقة فى السماء أو على الأرض أو فى ماء المطر ..

يتكلم فى هيكله ، العنوهم العنوهم ، لأن الذين يذبحون لهم إنما يقدمون ضحايا للشياطين وليس لله !

إذا كان هؤلاء الناس يستحقون أن ينالوا معرفة من خلقهم لكانوا ينصتون الى خادمه إذ يقول : « أن تكونوا مشتركين مع الشياطين لا ترتضيه السماء ، فإن كلمة الحق لن تسيغ للبعض أن يكونوا مشتركين فى الإيمان ومختلطين بالوثنيين والهراطقة : « لا يمكنكم أن تشتركوا فى مائدة الرب ومائدة الشياطين ، لا يمكنكم أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين » .

أقول للذين يقولون أنا مسيحيون ولمن يغضبون الرب : « ألم يكفكم الزمان الذى قضيتموه فى جهلكم ؟ » .

البيت المبنى على الرمال لا يثبت إذا هبت عليه الرياح الشديدة ومن كانت كلمة الله غير ثابتة فيه يعثر اذا ما أصابه حزن أو إضطهاد وقد لا ينجو من النكران . ألا يكون إنكاراً أن يقال الكذب بدلا من الحق برياء أو بمحاباة ؟ أى شئ أفضل من الاعتراف بيسوع فإنه حتى لو فقأوا عينيك ألا تقوم فى القيامة ولك عينان ؟ يكفى أن يعترف بك أمام ملائكة الله . ماذا

ش ؟ هل تخشى أن تعترف بأعمال كشفت لك تشهد الكتب
قدســة نفسها لها ؟ حتى ولو ضربوا عنقك سوف تقوم من
لأموات ورأسك على كتفيك . لو قطعوا كل عضو فيك تقوم
ن الأموات ولا ينقصك أصبع واحد من يدك أو رجلك . نعم
وف تقوم من الأموات جسداً روحانياً .

إذا كنت تذكر الألم والحزن الذى حــدث لك بسبب
لأشرار فتفكر فيما قاله الرسول : « إن آلام الزمان الحاضر
لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » . يكفيك أن ترى كل
ين احتقروا أو قتلوا من أجل يسوع ولاسيما الرسل الأبرياء
لأنبيــاء .

يوحنا الذى قطع هيرودس رأسه بعد أن القاه فى السجن
بب حبه لإمرأة شريرة وابنتها ، وميخا الذى ضربه الأنبياء
لكذبة بأمر ملك شــرير . . وأرميا واسطفانوس الذى
وه وقتلوه .

يوم الدينونة الرهيب (١)

وما جزاء من يتجاسرون على عمل هذه الشرور ؟ معرفتهم

1- Œuvres de Schenoudi, Amélineau Tome Fascicule I.

رماد وحكمتهم ضلال . بماذا يجيبون فى يوم الدينونة : أجيبوا: « باسمك تنبأنا وأخرجنا شياطين ، باسمك صنعنا فضائل كثيرة » لكن سوف يسمعهم هذه الكلمات « انى لا اعرفكم ، إبتعدوا عنى ، أليس من أجل شرورهم التى يصنعونها سراً دون أن يعلم أحد بها الا الله . فلنطرد عنا كل مكر قبل أن يدين الله الخفيات .

هل نستطيع ونحن نمثل أمام محكمته أن نهرب من قوله « لا أعرفكم » ؟

إنه لا يقول عن هؤلاء الخطاة المعروفين ولكنه يقول : « كثيرون فى هذا اليوم سوف يقولون: ليس من الذين لا يعرفونه ولكن كثيرين من الذين يجدون أنفسهم باسمه . لان القش والزوان معدة للنار وما ينظر اليه الناس كأنه القمح فى حين أنه قش . كثيرون سيقعون فى يد الرب يسوع المسيح من المماكرين والمرائين الذين شبههم بالقبور المبيضة ، جميلة من الخارج أما داخلها مملوء من كل نتن ونجاسة .

ماذا يجدى الاسم والزى بدون الطهارة ؟ أين هى الانما التى تليق بها ؟ أعنى الفضائل المسيحية لتجد الملك المسيح ؟ لا

الاسماء والثياب والتيجان لايصل بهرجها الا إلى ساعة الموت فقط . لا الاسم ولا الملبس يستطيع أن يعيننا لاننا سوف نرجع أمام الله قبل كل إنسان ، نحن الذين نحمل الاسم والملبس ، حتى الملوك وكل كائن فى عظائم الله . لانه كما أن الاغنياء سواء أكانوا ابراراً أم اشراراً يتركون خيراتهم ليذهبوا إما ليفوزوا برحمة الله لأنهم كانوا رحومين أو ليحق عليهم العقاب لأنهم لم يكونوا محبين للناس ، هكذا سوف نكون نحن ، نتخلى عن الاسم والملبس لكى نسير . فإذا كنا قد عملنا ما يليق أثناء حملنا إياها فسوف نأخذ أجراً ، ولكن إن كنا قد عملنا ما لا يجب فسوف يحكم علينا .. فى المكان الذى نتطلع اليه لايرتفع إنسان بسبب الاسم والملبس . المرتفعون هم أولئك الذين ترفعهم أعمالهم الحسنة إذا كنا نريد أيضا أن نقول انهم مرتفعون بالاسم فانما نقول ذلك لكى نقنع ذواتنا . إذا كنا نكمل حياتنا حسناً مثل كل الذين يصنعون إرادة الله فانا نقول فى البدء انهم مرتفعون بالاعمال ، مرتفعون بالاسم ، فوق الكل الانبياء والرسل وكل القديسين ، هم فقط الذين أتوا أعمالا تميزهم الذين سوف يكونوا مطوبين ، ولكن الذين يهملون ما اؤتمنوا عليه ويتممون ما هو مكروه وغير مسموح به فسيكونون ملعونين .

لا يوجد ملك ولا قوة ولا شخص ينتمي الى الجنس البشري يحكم في السموات ، لا يوجد سوى الله ومسيحه الرب ملك السماء والارض ، والمستحقون بأعمالهم الصالحة سوف يكونون مالكين الحياة الى الدهر .

الذين ماتوا مع المسيح هم الذين سوف يحيون من جديد مع المسيح . الذين تألموا مع المسيح هم الذين سوف يمجدون معه . الذين تألموا ليس فقط بالاسم ولكن في الإيمان والاعمال وأيضا في كل التجارب هم الذين سوف يكونون ملوكا مع المسيح ، ليس مساوين له لانه إله وملك . إذا كنا أولاد الملك المسيح فسنملك أيضا معه . هل يوجد ملك أفضل ممن سوف يحد رحمة أمام يسوع ؟ وبالاخص الذين ورثوا ملكوته . لان من يرث الملكوت السموات دون أن يكون ملكا ؟ ، هل يملك أحد الا الذين ليس لهم سيد سوى المسيح يسوع وأبيه . أيوجد ملك آخر ، الا من ينجو من الغضب الآتي ؟ أيكون ملك آخر الا إذا ملك المرء الحياة الى الدهر ؟

لن يرى الإنسان وجه ملاك في المسرة فحسب أو وجه شيطان فيكون ملكا . انها رؤية جاثيا وجها لوجه ، الرب

الملك المسيح وابن الملك ، انها ثمينة بالاكثر فلا يوجد ملك خارج هناك لان الذين يستحقون أن يروه في مجده هم الذين سيتمجدون به ..

لكن من هم الذين سوف يصلون الى هذه المراتب الا الذين تجندوا في الخدمة العسكرية جنوداً للملك المسيح ؟ ، قد أخذوا درع الإيمان وذهبوا الى المعركة . حاربوا كل اثم لكي لا يتسلط عليهم . هم أحرار من عبودية الخطية وهم الذين سوف يكونون أحراراً من كل الآلام . أما عبيد النجاسة والشر فحالما يفرقهم الموت عنها تتسلط عليهم كل الضيقات .

لماذا تمسكنا بكل أعمال القشف التي نأخذ بها أنفسنا ؟ هذا لكي لا نجعل أنفسنا غرباء عن الله وعن مسيحه من أجل سرور أو إغراء زائف أو شرور . لا تعادي القديسين ، لانه إذا كان الله يرد وجهه عنا فلا ينفعنا شيء في حياتنا أو عند مثولنا أمام محكمته . .

إذا كانت الخطيئة تجد موضعا في اناس قبل النعمة أو التكريس فهذا أمر هين لانه لا يصعب أن يتطهروا منها إذا

تابوا ، ولكن ان كان الشر يتسلط على انسان بعد التكريس والنعمة والاسم والمكان المقدس الذى هو فيه فيصعب أن يهرب منه وأصعب منه أن يهرب من غضب الله .

إنه على شاكلة يهوذا ، بعد الاســم وبعد أن حسب مع الإحدى عشر رسولا وبعد أن أخذ الخبز دخله الشيطان ووضع فى قلبه أن يسلم سيده فحق عليه العقاب الى الدهر هو والذين اسلم الرب اليهم ، رؤساء الكهنة والكهنة وكل من وضع يده على الرب يروم اغتياله كالحيوانات المفترسة .

ألست أقول هذه الاشياء باختصار ألست أبكى على هؤلاء الاشقياء لانهم الآن فى العذاب وهم حانقون ضد أنفسهم بالاكثر لما عملوه ، وقد لعنوا أنفسهم فى عمى قلبهم .

بالحقيقة كانت مائدتهم لهم فخاً وشركاً وعثرة وعقاباً ... إذا أكلوا عليها خبزهم يقولون « لا إله » ولكن سوف أقول أيضاً عن قلبهم الدنس ، أى مائدتهم ، والشباك التى ينصبونها هى تعاليمهم والاوامر التى أصــدروها باحثين عن قتل الرب ، لانه يوجد شىء واحد ينصب به الصيــاد شباكه ، إنه مكره

بمختلف الوجوه ... أتوجد شباك أخرى أو فخاخ ... غير إزعاج بيلاطس بالصراخ قائلين : لنا قانون وحسب هذا القانون يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله . وهذا لم يكن يكفيهم ولكنهم قالوا « إن لم يكن فاعل شر لما كنا سلمناه . بالحقيقة لقد كشفوا عن إلحادهم والغضب الذى قال عنه الإنجيل سيمسك عليهم » . لقد قالوا أيضا « نحن نعرف أن هذا الرجل خاطىء » و « أرفعه أرفعه أصلبه » فسيسمعون هم انفسهم القول إلى ألوف ألوف فى السموات « أرفعوهم أرفعوهم ، هؤلاء الكفار ، عاقبوهم عاقبوهم إلى الدهر ... » .

لا ينبغى أن نحزن عليهم لان يسوع عالم بما سوف يكون منهم وبادرهم بالقول « من منكم يبكتنى على خطية » وأيضا يبكت قولهم الكاذب على لسان النبى القديس أشعياء قائلا « من الذى يحتكم معى ؟ ليقف ضدى فى نفس الوقت ؟ ومن الذى يحكم معى ؟ فليقترب إلى ... » .

قال حسنا يقول : « انتم كلكم سوف تصيرون خــرقا فى شروركم » وسوف تؤكلون فى عدم إيمانكم .. وأيضا على لسان

القديس أرميا النبي : أية خطية وجـــد آباؤكم فى لتبتعدوا عنى ؟ لأنهم ابتعدوا عن الله ، ومرات كثيرة أهل جنس اســـرائيل: مرة بعبادة الأصنام ومرة أخرى بقتل القديسين وأخـــيرا وضعوا أيديهم على ملك الكون مظهرين شـــرهم وفكر رؤسائهم الردىء ..

+ + + + +

الفصل الثامن

عظات أسبوع الآلام

للقديس الأنبا شنوده

مقدمة

معروف أن ترتيب قراءات البصخة المقدسة وضعه الأنبا غبريال الثانى البطريرك الـ ٧٠ (١١٣١ - ١١٤٦م) بمعاونة رهبان دير القديس مكاريوس الكبير . رتبت قراءات الصلوات الليلية والنهارية ، لكنها لم تكن تسير على نظام واحد فكانت بعض الأناجيل تقرأ من غير قراءة النبوات ، وبعض الساعات كانت تقرأ فيها نبوات كثيرة . . .

ولما رأى الأنبا بطرس أسقف البهنسا ذلك الترتيب وكان عالماً من علماء الكنيسة القبطية عول على أن يجرى تعديلا فيه فتسير الساعات جميعها وفق نظام موحد ثابت فأفرغ همته وأخذ يراجع الكتاب المقدس بعهديه وكتب المواعظ حتى رتب كتاب البصخة المستعمل فى الكنيسة القبطية الآن ، فرتب قراءة النبوات والأناجيل والعظات فتقع كل ساعة وقراءة ماتناسبها من النبوات والمزامير والأناجيل .

ويبدىء فى ترتيب قراءات العظات أيام الأنبا بطرس أسقف البهنسا ، لأنه إهتم بمراجعة كتب العظات ورتب قراءة الملائم منها .

ويؤخذ من الإطلاع على أقدم مخطوطة عن أسبوع الآلام بالمتحف البريطانى (١) رقم ٥٩٩٧ مؤرخة ٢٢ توت سنة ٩٩٠ ش بتاريخ ١٩/٩/١٢٧٣م أنه ليس فيها قراءات من العهد القديم لكثير من ساعات أسبوع الآلام ، كما أنها لا تحتوى أيضاً على عظات الآباء ، بينما تحتوى جميع المخطوطات لهذا الأسبوع على قراءات إضافية من العهد القديم ومواعظ .

إن العظات الوحيدة المتداولة فى الكنيسة القبطية للقديس الأنبا شنوده هى عظات أسبوع الآلام التى نقلت إلى اللهجة البحيرية باختصار شديد . كما أن بعض العظات البحيرية لم تكن مطابقة للعظات باللهجة الصعيدية كما فى عظة القديس الأنبا شنوده الى تقرأ باكر الثلاثاء ، وقد ورد بشأنها فى مجلة :

Le Muséon X L V - 1932.

ما يأتى :

" .. The homily of Abba Schenoudi (Tuesd . morning) is found in a fuller form in the Saidic Ms., which is in the possession of Sir Herbert Thompson ... "

(١) أنظر ص ٢٣٧

Le Muséon " Two services of the Coptic church ... ".

ولم يهتم القديس بطرس أسقف البهنسا بنشر بعض عظات القديس الأنبا شنوده فحسب بل إختار مقتطفات من عظات لآباء آخرين : أمثال القديس أثناسيوس الرسولى ، والقديس بطرس خاتم الشهداء والقديس يوحنا ذهبى الفم والأنبا قسطنطينوس أسقف أسيوط وعظته تقرأ فى يوم الاثنين الساعة السادسة والأنبا سيفيريان أسقف جبله (١) .

مما تقدم يتضح أن القديس بطرس يرجع إليه الفضل فى

---

(1) «Abba Severian of Gabala»
وعظته تقرأ يوم الأربعاء فى الساعة الحادية عشر من النهار.
وهو خلاف الأنبا ساويرس بطريرك أنطاكية .
وقد ورد فى كتب البصخة المستعملة بالكنيسة القبطية « عظة لأنبا ساويرس » .
وهذه العظة مأخوذة من مجموعة مرجان بالصعيدية المجلد رقم ٢٥ .
«Severiani Episcopi Gabalorum Sermo in Math XXV, 13 sqq. vol 25 of the Morgan Collection» .
ولا نعلم شيئاً عن سيرة كل من أنبا قسطنطينوس وأنبا سيفيريان .

نشر مقتطفات من عظات القديس الأنبا شنوده ، ولولا ذلك لأصبحت نسياً منسياً الآن ، وإنه وإن كانت هذه العظات قليلة ومختصرة جداً فما ذلك إلا لأن العبء الذى أخذه على عاتقه كان ثقيلا جداً ، وهو تعديل قرامات أسبوع الآلام جميعها ، بما يلزمه من إطلاع كثير فى نواح متعددة ، خصوصاً وأنه لم يذكر أن أحداً كان يعاونه فى هذا العمل الخطير .

ولو كانت مهمة الأنبا بطرس قاصرة على اظهار عظات الأنبا شنوده فحسب - أو لو كان أحدا آخر اهتم بها - لكان لدينا الآن كنوزاً وافرة من العظات والتفاسير .

وإذا كانت قصة نشر مؤلفات القديس الأنبا شنوده غامضة فإن للقديس بطرس أيضا الذى أجرى هذه التعديلات قصة تحتاج الى كثير من الإيضاح .

أن البطريرك الأنبا غبريال الـ ٧٠ (١١٣١ - ١١٤٦) هو الذى وضع أولا ترتيب البصخة بمعاونة رهبان دير القديس مكاريوس الكبير .

وينبغى أن نذكر هنا أن هذا البطريرك كانت له قصة مع

هؤلاء الرهبان ، وكانوا على جانب كبير من التمسك بالتقاليد وبالتعاليم التى تسلموها كما كانوا على جانب كبير من المعرفة ، فحدث أن تلا البطريرك الأنبا غبريال الإعتراف وزاد عليه هذه العبارة (وصيره واحداً مع لاهوته) ولم تكن متضمنة به قبلا ، فاضطرب الرهبان لهذه الزيادة واحتجوا عليها فقال لهم البطريرك أن مجمع الأساقفة قد أقر تلاوتها فرضوا بها بشرط أن يضاف اليها « بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » .. فعمل برأيهم وأصدر منشوراً لعموم الكنائس بذلك .

وهنا يطرأ سؤال ما الذى حـــدث بعد أن وضع هؤلاء الرهبان مع البطريرك الأنبا غبريال ترتيب البصخة وسارت عليه جميع كنائس القطر مدة من الزمان ، وكيف قبل الرهبان الترتيب الجديد وسارت عليه سائر البيع أيضا ؟

نشر كتاب البصخة طبعـــة سنة ١٩٢١ بيانا وارداً فى كتاب بصخة تاريخـــه ١٠ بشنس سنة ١٥١٠ ش بالقبطية والعربيـــة .

« .. فجمع البطريرك الأنبا غبريال ، علماء من ذوى المعرفة والفهم ورهبانا كثيرين من دير القديس أبى مقار وأخـذوا من

العتيقة والحديثة ما يلائم ووضعوا كتابا وسموه كتاب البصخة وصاروا يعملون الفصح كل سنة فى بيعهم حتى صار الآب المكرم بكل نوع الأنبا بطرس أسقفا على كرسى البهنسا فنظر فى البصخة فرأى انه تقرأ فى ساعة نبوات وأناجيل كثيرة وفى ساعة أخرى قليلة فجمع من الكتب المقدسة ووضع لكل ساعة من الساعات ما يوافقها وبذا صار تلاوة الساعات متساوية ووضع لكل يوم من أيام الأسبوع عظتين من أقوال الآباء واحدة للصباح وواحدة للمساء كما هو مدون بكتاب البصخة إلى يومنا هذا » .

لابد أن يكون هذا القديس علـــا من أعلامها الكبار البارزين ولابد أنه يكون عاش بعد سنة ١١٤٥ بمدة من الزمان (أى بعد نياحة البطريرك الأنبا غبريال واضع الترتيب القديم) ولكن لا يستطاع تحديد السنة التى عاش فيها فى القرن الثانى عشر أو أوائل القرن الثالث عشر . لكن نستطيع أن نستدل على مركز القديس بطرس فى الكنيسة من جمل أعماله .

فبخلاف إعادة ترتيب قراءات البصخة المقدسة قام بأعمال كثيرة فى عالم التأليف ، فقام بترتيب خدمة تكريز المعمودية ، ويذكر أبو البركات الذى عاش حوالى سنة ١٣٢٠ م فى كتاب

« مصباح الظلمة لإيضاح الخدمة » وهو مرجع هام كبير موجود بالمتحف القبطى ، فى الفصل الخامس عشر أن الذى رتب خدمة تكريس المعمودية هو الأنبا بطرس .

ويظهر من كتاب السلم فى اللغة القبطية لمؤلفه الأنبا يوحنا أسقف سمنود (١٢٣٠م) أن ترتيب خدمة اللقان لعيدى القديسين بولس وبطرس منسوبة لهذا القديس .

ولا يستبعد أن تكون له مؤلفات أخرى لم يشر اليها ولا يتسطاع معرفتها ، إنما ما ذكرناه فهو للتعرف على مركز القديس فى ذلك الزمان وما قام به من أعمال كانت تأخذ بها الكنيسة للحال بما فيها طائفة الرهبان .

ونود أن نقول ونحن فى صدد الأنبا بطرس أسقف البهنسا الذى أجرى تعديلات البصخة . والذى أخذت بها الكنيسة فوراً أن كتاب البصخة الحالى طبعة سنة ١٩٤٩ الذى اهتم بنشره المتنيح الأنبا اثناسيوس أسقف بنى سويف (واليه يرجع الفضل فى إعادة طبع أغلب كتب الكنيسة التى نفذت) تضمن إضافات كثيرة عن البصخة المطبوعة سنة ١٩٢١ . المستعملة فى سائر كنائس الكرازة . سواء فى النبوات أو فى العظات أو

فى الرسائل (بمعاونة المتنيح العلامة يسى عبد المسيح) كما يتضح ذلك من البيان الآتى على سبيل المثال ، ومع ذلك تسير بمقتضاه سائر الكنائس نظراً لمركز هذين العالمين فى الكنيسة ولأن كل ما أضيف فهو عن مخطوطات قديمة للبصخة

ويمكن إذا نفذت هذه الطبعة أن تضاف فرامات أخرى ، فالكنيسة القبطية غنية بكتابات الآباء خصوصاً فى أسبوع الآلام وعلى سبيل المثال نقول أنه تبين لنا من الإطلاع على بعض المخطوطات القديمة أن القديس يوحنا ذهبى الفم ميامر كثيرة لكل أيام البصخة له ميمر على تفسير الستة أيام الخليقة وهو ستة فصول يقرأ فى باكر الاثنين ، ميمره على شجرة التين وله اراء وتأملات فريدة لم يسبق نشرها يقرأ فى الثالثة ، ميمره على السادسة ، ميمره على التاسعة على الصليب وخروج آدم من الفردوس .. الخ .

كل ذلك فى يوم الاثنين ولا محل هنا لأن نعدد ميامر وعظات سائر آباء الكنيسة لأسبوع الآلام .

بيان بالقراءات التى أضيفت

البيان الآتى - عن يوم الجمعة العظيمة - على سبيل المثال يوضح لنا القراءات التى أضيفت فى الطبعة الأخيرة سنة ١٩٤٩ زيادة على طبعة سنة ١٩٢١ .

وهى مبينة كالآتى :

رقم الصحيفة	الساعة	البيان
(١) ٢٢٩	باكر	أشعياء النبى ص ٢ : ١٠-٢١ .
(٢) ٢٣١	»	» » ٢٤ : ١-١٣ .
(٣) ٢٣٢	باكر	أيوب الصديق ص ١٢ : ١٨ الخ ص ١٣ : ١-
(٤) ٢٣٣	باكر	ميخا النبى ص ١ : ١٦ - ص ٢ : ١-٣ .
(٥) ٢٣٥	باكر	البولس ١ كو ص ١ : ٢٣ الخ - ص ٢ : ١-٤-
(٦) ٢٤٣	٣	عاموس النبى ص ٩ : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ .
(٧) ٢٤٤	٣	عظة القديس اثناسيوس الرسولى .
(٨) ٢٤٥	٣	البولس من كولوسى ص ٢ : ١٣-١٥ .
(٩) ٢٦٠	٩	يوئيل النبى ص ٢ : ١-٢٣ وص ١٠-١١ .

(١٠) ٢٦٤	١١	سفر اللاويين ص ٢٣ : ٥-١٥ .
(١١) ٢٦٦	١١	البولس من غلاطية ص ٣ : ١-٦ (١) .

من هذه القراءات الأرقام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ غير ثابتة بالقطمارس القبطى .. وفقط موجودة بكتاب البصخة العربى .

والآن ننتقل الى عظات القديس الأنبا شنوده لأسبوع الآلام.

عظات القديس باكر الاثنين (٢)

يا اخوة . ان كنا نريد الآن أن نفلت من عقاب الله ونجد رحمة أمامه . فلنجلس بالعشاء كل يوم منفردين وحدنا عند كمال النهـــار . ونفتش ذواتنا عما قدمناه الملاك الذى يخدمنا

(١) الحاشية الثابتـــة فى هذه الصفحات تتضمن ما يأتى : « لم تمكن موجودة فوضعناها عن بصخة قديمة وترجمها حضرة يسى أفندى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى.

(٢) وردت بكتاب البصخة طبعة ١٩٢١ وطبعة ١٩٤٩ ، وتوجد بالمخطوطة القبطية رقم ٧٠ المكتبة الأهلية بباريس ورقة ٢١ ، ٢٢ وتاريخها ١٠٣٦ ش - ١٣٢٠ م .

(الملازم لنا) ليصعده الى الرب . وأيضا إذا انقضى الليل وطلع النهار (وأشرق النور) نفتش ذواتنا وحدنا ونعلم ما الذى قدمناه للملاك الموكل بنا ليصعده الى الله . ولا نشك البتة لأن كل إنسان ذكرا كان أو انثى صغيرا أو كبيرا قد اعتمد باسم الاب والابن والروح القدس قد جعل الله له ملاكا موكلا به إلى يوم وفاته . وليصعد اليه كل يوم أعمال الإنسان الموكل به (الليلية والنهارية) ليس لأن الله غير عارف بأعمالنا . حاشا . بل هو أعلم بها أكثر. كما هو مكتوب أن عينى الرب ناظرة كل حين فى كل مكان على صانعى الشر وفاعلى الخير إنما الملائكة هم خدام قد أقامهم خالق الكل من أجل المزمعين لوراثة الخلاص . فلنختم موعظة أبينا القديس أنبا شنوده الذى أنار عقولنا وعيون قلوبنا باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

الساعة التاسعة من يوم الاثنين

هذه الموعظة غير موجودة فى كتاب البصخة طبعة سنة ١٩٢١ .

ووجدنا فى الحاشية للصحيفة رقم ١٠٣ لكتاب البصخة الحديث طبعة سنة ١٩٤٩ ما يأتى :

« وجدنا هذه الموعظة فى بصخة قديمة خطية فى مكتبة

مطرانية بنى سويف والبهنسا وهى خليط من اللهجتين الصعيدية والبحيرية لم نغير منها شيئاً مراعاة للأمانة فى النقل ،وقد رجعت بمعرفة بسى أفندى عبد المسيح أمين المتحف القبطى، على نظيرتها التى نشرها الدكتور بورمستر فى مؤلفه « ميامر وعظات أسبوع الآلام» وتبين لنا ما يأتى:

هذه العظة بالمخطوطة رقم ٩٨ بمكتبة الفاتيكان بروما وتاريخها ١١٠١ش - ١٣٨٥ م (ص ٧٢ - ٧٤) ، وهى مدونة بكتاب البصخة الحديث (قبطى) من ص ١٠٣ - ١٠٥ واتضح أنها لم تترجم للعربية . وقد ترجمناها فيما يلى ولأول مرة تظهر للنور بالعربية .

عظة لأبينا القديس الأنبا شنوده بركاته المقدسة تكون معنا آمين :

والآن أيها الإخوة ، لنمتحن أفكارنا وأعمالنا ولنتأمل ماذا نفعل قبل أن يبطل كل التعليم وكل عمل صالح ولا نستفيد شيئاً . . . فى المكان الذى سوف نذهب إليه سواء أكان عملنا قليلا أو كثيراً . لماذا إذن نرتكب كل هذه الآثام ؟ وإذا كنا إرتكبنا هذه الآثام لماذا لم نتب ونظل غير مستأهلين لنعمة المسيح هذه التى خلصت عدداً لا يحصى .

أى عمل تراه ثقيلا أو صعبا مما أمرنا به السيد ؟ ما هو العمل الذى القاه السيد الرب على الإنسان الأول آدم ؟ ألم يقل له «من كل اشجار الجنة تأكل ما عدا هذه الشجرة وحدها التى فى وسط الجنة فلا تأكل منها لأن يوم تأكل منها موتا تموت (١) . ولما خالفا واكلا حرما نفسيهما من باقى أشجار الجنة (٢) .

وما أحرى أن يكون مثل الجنة والاشجار التى فيها ، مثل السنة التى نعيشها والصوم الاربعينى وما يجب نحو عيد القيامة مثل الشجرة التى فى وسط الجنة، فليجاهد كل إنسان قدر إستطاعته حتى أولئك المرضى فيباركنا السيد مع هؤلاء ونجد مكان الراحة فى ملكوت السموات . أما الذين يخطئون فى هذه الأيام المقدسة أو الذين يفعلون التعديات فسوف يهلكون .. موتا يموتون وسيشملهم الحزن والألم فى جهنم . ومبارك كل الذين يحتملون

(١) تك ٢ : ١٦،١٧ ونص الكتاب المقدس كالآتى : « وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لانك يوم تأكل منها موتا تموت » .

(٢) آدم وحواء .

الجوع والعطش لانهم سيتمتعون بكل الأفراح والسعادة فى ملكوت السموات ، وينبغى أن نعرف هذا أيضا أن بدء الصالحات هو أن يحفظ الإنسان جسده طاهراً، وبعد أن نكون أطهارا فلنعمل كل عمل صالح حسبما يرشدنا الروح القدس سواء أكانت هذه الأعمال عظيمة أو صغيرة وبذلك نكون مخلصين وينتفع بها .. لانهم سوف يباركون السيد بها فى الدهر الآتى الى الأبد حينما يقومون جسدا روحانيا فى يوم القيامة (١ كو ١٥ : ٤٤) فلنختم عظتنا . . .

الساعة الحادية عشرة من يوم الاثنين (١)

قد توجد أعمال نحالها انها صالحة ولكنها رديئة عند الله وذلك اننا نتغاضى عن بعضنا بعضا فنخطىء فى المواضع المقدسة لأن الرب لم يغرس فى الفردوس الاشجار الصالحة والغير الصالحة بل غرسه من الاشجار الصالحة فقط . ولم يغرس فيه أشجاراً غير

(١) وردت بالقطمارس سنة ١٩٢١ م، وطبعة ١٩٤٩ وهى بالمخطوطة القبطية رقم ٧٠ المكتبة الأهلية بباريس ورقة ٣٧ ، ٣٨ ، وتاريخها ١٠٣٦ ش (١٣٢٠ م) .

مثمرة أو رديئة الثمر ، وليس هذا فقط بل والناس أنفسهم الذين جعلهم هناك . عندما خالفوا لم يحتملهم بل أخرجهم منه . فمن هذا اعلموا ايها الإخوة الاحباء انه لا يجب أن تملأ مساكن الله المقدسة من الناس الاشرار والصالحين كما فى العالم المملوء من الخطاة والظالمين والقديسين والانجاس . ولكن الذين يخطئون لا يتركهم فيها بل يخرجهم . انا اعرف ان الارض كلها هى للرب فاذا كان بيته كباقى الارض ، فما هى ميزته إذن على غيره فإن كنت وأنا الكاهن أعمل الشر كما يعمله الاشرار على الارض فلا يحق لى ان أدعى كاهنا لانه مراراً كثيرة نخطىء ولا نعرف كيف ندين أنفسنا بما نقول . لا يتجرأ أحد أن يملأ بيتك قذارة الا إذا رأى منك التهاون والاحجاب الملك يتجرأون أن يدخلوا بكل إنسان إلى بيته من الحافظين مراسيمه والمخالفين لها الا بأمره ومتى عملوا بخلاف ذلك يعاقبون فلتختم موعظة ..

باكر يوم الثلاثاء

انا أخبركم بأمرين . أن كل الذين فرح بهم فى السماء لاجل توبتهم على الأرض ، سوف لايرون حزنا ولا ألما فى ذلك

المكان (١) ، وأما الذين لم يفرح بهم فى السماء لاجل الارتداد من توبتهم على الأرض فسوف لايرون فرحا ولا تهاجا فى ذلك الموضع ، لأن الذين يفرحون على الارض سوف لايرون فرحا ولا تهاجا من الان . أما سمعتم طوبى للحزانى فانهم يتعزون . وكذلك الاخرون الذين لايفرحون على الارض ، يفرحون أيضا فى السموات ، أما سمعتم الويل لكم ايها الضاحكون الان فإنكم ستبكون وتحزنون . أليس هذا هو الزمان الذى فيه يلبس الضعفاء القوة . والذى ليس يقوى يقول انا قوى عند ما يعطي قلبه للقـــول المكتوب . وكقول النبى كثيرون هم الذين ضعفت أجسادهم من كثرة زناهم سيضعفون أيضـــا فى قلوبهم كما يقول الكتاب عن هؤلاء هكذا . انه يتحطم بنجاســـة نفسه . وأما المجاهدون بشجاعة فقد قيل عنهم . اسرع وقوم ذاتك صفيا لله فاعلا لا يخزى . يقطع كلمة الحق فلتختم .

---

(١) موجودة بكتاب البصخة طبعة سنة ١٩٢١ وطبعة سنة ١٩٤٦ م .

وموجـــودة بالمخطوطة رقم ٧٠ بالمكتبة الاهليـــة بباريس رقم ٧٠ ورقة ٢٥ ، ٢٦ ، والنص البحيرى ناقص عن الاصل الصعيدى كما سبق أوضحنا .

فلنصنع إرادة الله يا اخوتى مادام لنا وقت أن نعمل فيه أعمال الرب . تذكروا أن الموت لايتأخر ومصيرنا أن نترك العالم . أين جميع الذين كانوا قبلنا هوذا كلهم الان يرقدون فى القبور فلنصنع اثمارا تليق بنعمة الله التى أعطاها لنا وعلينا نحن وكل المسيحيين أن نقتشبه بيسوع المسيح النور الحقيقى لاننا نحن بشر . هو السيد ونحن عبيده هو الراعى ونحن غنم تحت يده هو مولود من الاب ولكن نحن خليقته ، نور من نور مات عنا نحن الخطاة واسلم ذاته عنا على خشبة الصليب ليتنعم لنا بملكوته ، ما كان العبيد ملتزمين أن يموتوا عن سيدهم . أما السيد فقد استهان بالخزى ومات عن عبيده كى حسبما مات هو هم يموتون معه وكما هو حى فهم أيضا يحيون فلنختم ..

† † † † † †

(١) غير موجودة بطبعة سنة ١٩٢١ - وثابتة بطبعة ١٩٤٩ واردة بالمخطوطة القبطية بمكتبة الفاتيكان رقم ٩٠ ورقة ٨٨ تاريخها ١٤٤٠ ش (١٧٢٤ م)

أقول هذا الكلام ولا اتركه وهو هذا لا تظنوا انه بعد عزل التبن من الحنطة يحصل الخطاة على راحـــة . وأقول لكم كشهادة الكتب انه ان كانت الملائكة أو رؤســـاء الملائكة يصمتون جميعا ، وكذلك القديسون أيضا يصمتون جميعا ويكون لكلمة الله الحكم الكامل القاطع فى اليوم الذى يفرز فيه الاشرار من بين الصديقين ، وقت ان يلقى الخطاة فى أتون النار المتقدة . هل الله كالبشر حتى يجعل مشيرا أو جليسا ليسأله ، ما هو الذى ينساه الله لكى يجيب به آخر أو يسأله عن كلمة الا هذا القول فقط أن يقال من فم واحـــد يا ديان الحق احكامك عادلة ايها المعطى كل واحـــد حسب أعماله . وليس لنا أن نذكرك بهذا لانك انت الذى من عندك كل الرأفات فلنختم . .

* * * * *

(١) بالمخطوطة رقم ٤٠٨ المتحف القبطى بالقاهرة ١٣٤٢ ش ١٦٢٦ م وواردة بطبعة سنة ١٩٢١ م ، ١٩٤٩ م .

أمران أقولهما لكم أن جميع الذين يفرح بهم فى السماء من أجل توبتهم وهم على الارض لن يروا حزنا ولا وجعاً فى ذلك المكان واولئك الذين لم يفرح بهم فى السماء لأجل عدم توبتهم وهم على الارض لن يروا فرحا ولا راحة فى ذلك المكان فإلى متى أنت تتكاسل ايها الإنسان اطلب اليك ابك على نفسك مادامت تقبل الدموع وبالاحرى إذا كنت قد عملت أعمالا يحق عليها البكاء فابك على نفسك وحدك مادام جميع القديسين يبكون معك لأجل خلاص نفسك . طوبى لمن امتلأ بكاء على نفسه وحده هنا فإنه سينجو من البكاء وصرير الاسنان الدائم ويفرح فرحا سمائيا ..

فلنستيقظ يا احبائى قبلما يقفل دوننا الخدر وباب التوبة ونضرع أمام الباب فنسمع لست أعرفكم كل هذه وأرداً منها فسمعها إذا تمادينا فى خطايانا فلنختم ..

(١) غير موجودة بطبعة سنة ١٩٢١ م وثابتة بطبعة سنة ١٩٤٩م وبالمخطوطة رقم ٩٠ بمكتبة الفاتيكان ورقة ١٢٥ ، ١٢٦ تاريخها ١٤٤٠ ش سنة ١٧٢٤م . ويلاحظ أن هذه العظة تماثل عظته باكر الثلاثاء فى ابتدائها مع بعض إضافات .

قد توجد أعمال نخالها انها صالحة ولكنها رديئة عند الله وذلك اننا نتغاضى عن بعضنا بعضا فنخطىء فى المواضع المقدسة . لان الرب لم يغرس فى الفردوس الاشجار الصالحة والغير الصالحة بل غرسه من الأشجار الصالحة فقط ولم يغرس فيه أشجاراً غير مثمرة أو رديئة الثمر . وليس هذا فقط بل والناس أنفسهم الذين جعلهم هناك عندما خالفوا لم يحتملهم بل اخرجهم منه . فمن هذا اعلموا ايها الإخوة الأحباء انه لا يجب أن تملأ مساكن الله المقدسة من الناس الأشرار والصالحين كما فى العالم المملوء من الخطاة والظالمين والقديسين والانجاس ولكن الذين يخطئون لا يتركهم فيها بل يخرجهم . أنا أعرف أن الارض كلها هى الرب

(١) غير موجودة بطبعة سنة ١٩٢١ وثابتة بطبعة سنة ١٩٤٩ وهى بالمخطوطة رقم ٩٨ بمكتبة الفاتيكان ورقة ٢٥٤ ، ٢٥٥ تاريخها ١١٠١ ش ، ١٢٨٥ م .

ويلاحظ أن هذه العظة مثل عظة الساعة الحادية عشر يوم الاثنين مع بعض الإضافات فى آخرها .

فإن كان هكذا بيته وكذا الأرض كلها فالذين يسكنون فيها يحيون به لهذا يجب علينا أن نخافه ونحفظ وصاياه . فاذا ما سقطنا فى واحدة منها فلنبك ونتنحب حتى إذا ما رأى تنهد وشوق أنفسنا مثل المرأة التى بلت قدميه بدموعها نكون حقا مستحقين صوته الحلو القائل مغفورة لك خطاياك اذهب بسلام إيمانك قد خلصك وقد رأيتم يا اخوتى أن الإيمان يعمل الخلاص ويعلن شوقه فيه فإذن كل من ليس له شوق فى حفظ وصايا الله وغيرة فى اقتداء العقلاء بالروح الذين شهد لهم انهم عرفوا الحق وقبلوا نصيحته بأعمالهم . والذين ليس لهم إيمان يسقطون فى كل عمل ردىء ويهلكون النفس كما هو مكتوب أن الرجل العاقل يقبل النصيحة ويعمل والجاهل يسقط على وجهه فلنختم ..

* * * * *

فلنفتح الآن ايها الإخوة من الذى تألم عنا ونخف عن اشتد بمنديل وصب ماء فى مطهرة وغسل أرجل تلاميذه بيديه الطاهرتين ونصنع أثماراً تستحق هذا الإتضاع العظيم الذى صار فيه من أجلنا لكى نتوب سريعا عن خطايانا التى ارتكبناها لأننا ان لم نتب فسيقال عنا فى السموات اننا محبون للخطايا . فاذا يكون رجاؤنا بعد أن نكون طردنا من السماء وطرحنا للحكم ورفضنا لأجل خطايانا . فدان دينونة مضاعفة فليس لأننا أخطأنا بغير معرفة فقط بل لأن ما عملناه بمعرفة كان اردأ مما عملناه بغير معرفة ، ولا لكوننا اخطأنا فقط بل لكوننا لم نتب . لماذا لم تعرف الخراف صوت الراعى الحقيقى المحيى وتلتجىء اليه ،

---

(١) وجد بدلها فى طبعة ١٩٢١ و ١٩٤٩م عظة للقديس يوحنا ذهبى الفم ومطلعها : « انى أرى اليوم كثيرين من المؤمنين مسرعين الى الشركة » ..

أما عظة القديس الأنبا شنوده أعلاه فهى واردة بالمخطوطة القبطية رقم ٧٠ المكتبة الأهلية بباريس ورقة ١٤٦، ١٤٧ تاريخها ١٠٣٦ ش ، ١٣٢٠ م .

ذلك الذى اشتراها بدمه وعالها وأسلم ذاته فداء عنها ، الذى اعطانا جسده لنأكله ودمه لنشربه ، يسوع المسيح ربنا ومخلصنا الإله العلى الكائن فى الأعالى الى الأبد . فلنختم موعظة . .

والقديس الانبا شنوده مقالة هامة عن الطهارة نكتفى بالإشارة اليها وهى مدونة فى المجلد الخامس من كتاب

Œuvres de Schenoudi, E., Amélineau.

ومقالة الطهارة عنوانها

ⲟⲩ ⲗⲟⲅⲟⲥ ⲉⲧⲣⲉ ⲟⲩⲟⲛ
ⲛⲓⲙ ⲥⲁⲣⲉⲥ ⲉⲧⲙⲉⲩⲃⲓⲟⲥ
ⲁⲛⲧⲡ ⲧⲱⲗⲙ ⲛⲥⲟⲩⲟ—
ⲇⲉ ⲡⲉⲧⲥⲱⲙ ⲧⲉⲛⲧⲟⲩ
ⲏⲃ ⲉⲙⲛ ⲧⲉⲛⲧⲙ—
ⲟⲛⲁⲭⲟⲥ. (1)

« مقالة لكى يحفظ كل إنسان حياته دون دنس، وبالأخص الذين فى الكهنوت والرهبنة » .

ويوجد غير هذه كثير من المقالات الهامة، وسننشر مقالات حياة الطهارة وغيرها قريبا ان شاء الله .

تذييـــل

الآن بعد هذه الشذرات من العظات التى هى بمثابة المبضع الذى يضعه الطبيب فى أعماق الجرح لتنظيفه ينبغى لنا أن نسرع إلى المرهم الشافى لكل الجراح .

حقا ما قاله القديس اسحق السريانى « ليست خطيـــة بلا مغفرة الا التى بلا توبة وليست موهبة بلا زيادة الا التى بلا شكر » .

وما دام لنا زمان فى هذه الحياة فإن باب التوبة مفتوح على مصراعيه لكل الراغبين فيها ، والرب يسوع يصفح عن جهالاتنا ويجزل الغفران لأنه حيثما كثر الإثم تكثر نعمته .

لنسرع تائبين الى حبيبنا ومخلصنا يسوع المسيح فيرحمنا ويسمعنا فى اليوم الأخير صوته المملوء فرحا « تعالوا إلى يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل انشاء العالم . . » .

بالحقيقة ما أجمل ترتيب كنيستنا المجيدة فإنها تسمع الكل بلا استثناء ، صوت الصادى ينادينا تعالوا إلى يا جميع المتعبين

والتقبل الاحمال وأنا اريحكم ، العجل السمين مهيأ هلموا كلوا ولا يخرج أحد شاكيا الجوع .

تسمع الكنيسة الجميع مبدر فرح التائبين الذى يقال ليلة عيد القيامة بعد انجيل القداس فلنتبه اليه . وهو طرح الفعلة .

+ + + + +

طرح الفعـــلة (١)

« . . العجل سمين فلا يخرج أحد جائعا » .

من كان حسن العبادة ومحباً لله فليتمتع بهذا العيد المجيد البهى، من كان عبداً شكوراً فليدخل فرح ربه مسروراً ، من تحمل تعب الصوم فليأخـــذ الآن الدينار . من اشتغل منذ الساعة الأولى فليتناول اليوم أجرته الواجبة ، من أتى بعد الساعة الثالثة فليعد شاكراً ، من وصل بعد الساعة السادسة فلا يتوقف فإنه لن يخسر شيئاً . من تخلف إلى الساعة التاسعة فليأت غير مرتاع من لم يأت إلا عند الساعة الحادية عشرة فلا يخشين من إبطائه ، لأن السيد يحنى يقبل الأخير مثل الأول، يرحم صاحب الساعة الحادية عشرة مثل صاحب الساعة الأولى - يرحم الواحد وينعم على الآخر . يهب لهذا ويغفر لذلك ، يقبل الأعمال ويترك السيئة ، يثبت العمل ويمدح القصد .

أدخلوا إذن كلكم إلى فرح ربنا أيها الأولون والآخرون ،

(١) طرح الفعلة المقصود به أصحاب الساعة الحادية عشرة وتابوا ونالوا الجزاء كالأولين - يقال ليلة عيد القيامة المجيد وهو للقديس يوحنا ذهبى الفم .

اقبلوا الجزاء أيها الاغنياء والفقراء ، تهللوا معا أيها الصالحون والخطاة كرموا هذا العيد . الذين صاموا والذين لم يصوموا ، أفرحوا اليوم معا ـ المائدة ملآنة فتنعموا كلكم ـ العجل سمين فلا يخرج أحد جائعا . تمتعوا كلكم بوليمة الإيمان ، لا يبح أحد شاكيا الجوع لأن المملكة المشتركة قد ظهرت . لا يبكين أحد آثامه لأن الغفران قد نبع من القبر . لا يخشين أحد الموت لأن موت المخلص قد حررنا جميعا لأنه أباد الموت لما خضع له . سبى الجحيم لما انحدر اليه ـ مس الجحيم جسده فقضى الجسد عليه كما تنبأ أشعياء عندما صرخ قائلا قضى على الجحيم لما نهض من أسفل ليلتقيك ، فضى عليه وقيده ، أمسك جسداً فصادف إلها ، تناول أرضا فصادف سماء ، أخذ ما نظر فسقط من حيث لم ينظر . أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا جحيم . قام المسيح والأبالسة سقطت ، قام المسيح والملائكة تهللت قام المسيح والحياة أعيدت ، قام المسيح ولم يبق ميت فى القبر لأن المسيح الذى قام من بين الأموات صار باكورة الراقدين وله المجد والعزة إلى دهر الدهور آمين .

عظة للقديس البطريرك
الأنبا بطرس خاتم الشهداء (١)

وفى ختام هذا الكتاب الذى يتضمن مقتطفات من عظات القديس العظيم الأنبا شنوده وبعد أن أتينا بمبمر فرح التائبين الذى تقوله الكنيسة ليلة عيد القيامة يحلو لنا أن نزينه بعظة البطريرك العظيم القديس الأنبا بطرس خاتم الشهداء ، الذى ذكر التاريخ عنه أنه ما كان يدخل الى الكنيسة المرقسية حتى يرى السيد المسيح جالسا على كرسيه فكان يجلس تحت قدميه ، وهذه العظة تتضمن نصائح مفيدة تصلح لأن تكون ختام كل عمل مثمر ، قال القديس :

لنكافح يا أحبائى ؛ لنهرب من كل لخاخ هذه الحياة ، وأولا وقبل كل شىء ليقنا نقبع المحبة التى تستر كثرة من الخطايا (١ بط ٤ : ٨) ، وليكنا نكون رحماء حتى يصنع معنا يسوع المسيح

(١) هذه العظة بالقبطية بالمخطوطة رقم ٩٨ (ص ١٧٧-١٧٩) بمكتبة الفاتيكان برومه ١١٠١ش (١٣٨٥) نشرتها مجلة Le Muséou 1932 وترجمناها للعربية.

الذى صعد على الصليب لأجل خطايانا رحمة ، وليتنا نحب بعضنا بعضا حتى يعرف الرب اننا تبعه لأنه قال :

« بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضنا لبعض » يوحنا ١٣ : ٣٥ ، ليتنا نزور المرضى والمسجونين ، نكسى العرايا ، نسقى العطاش ونطعم الجياع من خبزنا (١) حتى يدعونا السيد الرب إلى عشائه مع فديسيه . ليتنا نزور اليتيم ، ونجفف دموع الأرملة ، ونسعى فى أثر السلام (مز ٣٣ : ١٤) وليتنا نسامح بعضنا بعضا كما غفر لنا المخلص يسوع المسيح خطايانا هذا الذى سفك دمه الكريم لأجلنا ، ولنشترك فى الصلوات والأصوام ، ونتجنب كل قيود الشر (٢) ، وليتنا لا ننسى كل الذين فى الضيقات ، ولا نحزن الفقير الذى هو دائن لنا ، لنسرع

---

(١) أشعياء ٥٨ : ٧ « .. أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك . إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك .

(٢) أشعياء ٥٨ : ٦ « أليس هذا صوما اختاره حل قيود الشر . فك عقد النير واطلاق المسحوقين احراراً وقطع كل نير ».

لقاء الغريب ونستقبله بكل اشتياق كما فعل الآب ابراهيم . حينما تعملون كل هذه الأمور يضىء نوركم مثل الشمس وينفجر مثل الصبح نوركم (١) ، وستكتفون بكل الأشياء الصالحة ولن يمسكم شر (طوبيا ١٢ : ٧) ، حينئذ تشتاقون بحرارة أن يستجيب لكم الرب ، وعندما تدعون الرب يقول هأنذا (٢) . وستبصرون يا أحباق النعم العظيمة التى يهبها لنا الله مجانا إذا حفظنا وصاياه فلنختم عظة القديس ..

† † † † †

---

(١) أشعياء ٥٨ : ٨ « حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعا ويسير برك أمامك » .

(٢) أشعياء ٥٨ : ٩ « حينئذ تدعو فيجيب الرب ، تستغيث فيقول هأنذا » .

ختام الكتاب

رئاسة الأنبا شنوده الديفنية

أصولها ومقوماتها وأثرها فى الآداب القبطية

لا يجب أن يعرب عن البال أن ما أتينا به من العظات ماهو إلا شيء ضئيل جداً لا يذكر من آثاره الدينية القوية العميقة التى كان لها أثرها فى أرض مصر كلها وفى غيرها من البلدان. فكانت الكلمات تخـــرج من فه فتجد دويا شديداً فى النفوس ويصل صداها الى سائر البقاع. ومن يطلع على الأصل القبطى لبعض أقواله تتكشف له قوتها. فإن ما أمكن جمعه هو نبذ يسيرة من مقالاته وكلمات قليلة من عظاته. ومع ذلك يرى القارىء فيها فيما مضى، ترى كيف أن هذه العظات مؤثرة وعميقة. فما بالك بقوة عظاته حين كانت تتدفق من فه الطاهر وهو ينطق بها مع ما أوتى من فصاحة اللسان والحكمة والمعرفة والقوة والصلابة باللغة القبطية، فضلا عما خص به الراهب الناسك الذى سلك فى الرهبنة الديرية (ففيها أقدس سلوك وأنبله وأروع الفضائل) والمتوحد الذى خرج إلى جوف الصحارى وكل من يجاهد للحياة الأبدية والسعادة الروحيـــة فيقاتل بشجاعة قتال الجبابرة مع الشياطين، يرى قدوة حسنة وطريقاً ممهداً فى هذا القديس الذى صار رئيساً، ومازال راسخاً فى المجاهرة بالحق ثابتاً على المبادىء المقدسة لاتهزه الاحداث أو الضيقات ولا تؤثر فيه المؤثرات حتى فى أحرج الاوقات وأعنفها، فكان وحيـــد زمانه يصيح صيحة الأسد لا يخشى هيبة إنسان.

وقف شامخاً كالجبل صلباً كالصخر فى المجامع المقدسة يدافع عن الإيمان بقوة حجته وبلاغته فكان يسحر المجتمعين بقوة حجته ويحر عليه الزاخر بالمعارف اللاهوتية العميقة.

وعلى هذا الأساس فإن منزلة القديس فى الكنيسة القبطية واضحة ليس فيها لبس أو غموض فهو عملاق كبير له أثره الكبير فى تثبيت الحق وتأييد الإيمان الصحيح وانعاش الآداب وبث الجهاد بعلمه وعمله وعظاته الحافلة بالقوة واليأس الشديد ويشهد له التاريخ بكل ذلك.

وليس من شك أن هناك أسبا موضوعيـــة مستمدة من تفاعل العوامل الاجتماعية والزمنية فى عصره فلم تأت الحركة الدينية بالأثمار اللائقة فى بعض الذين لم يسلكوا السلوك الحسن فى الرهبنة واندسوا فى صفوف الرهبان، ولم يكن جديرا بهم هذا الطقس لجهلهم وسوء تقديرهم المسئولية الدينية الملقاة على

الراهب فكان لزاما على القائد العادل والراعي الحازم أن يعرف مصدر الداء ويبتر الأصل حتى يصح البدن من العلل والضعف فيكون البرء من الأسقام التي يتعرض لها سائر الرهبان والمتوحدين ، ولهذا أصدر القرارات التي أشرنا اليها في أقواله .

ولا عجب أن يقذفه البعض بالعناد والقسوة ويبغضونه بلا سبب سوى صرامته في الحق وحزمه فقد كان لايعرف إلى المجاملة والرياء سبيلا . قربه البطريرك القديس الأنبا كيرلس الكبير عمود الدين وشهد له ولقبه بالقديس النبي . وقد ترك سائر الاساقفة وسافر في صحبته إلى بحمع أفسس ليسترشد بآرائه الثاقبة ومعارفه اللاهوتية العميقة .

ولولا حزمه وقوته لانفرت الأديرة من ساكنيها . راحوا يعيبون على القديس صرامته وحذفوا اسمه من عداد القديسين . وقد اشرنا الى ذلك في موقفه في المجامع وغيرها في المقدمة . لأن صوته كان رهيباً جداً يرهب أعداء الحق ، وهذا شرف لنا وفخر ، وقد رفعه تمسكه بالحق إلى صفوف القديسين الكبار .

ما كان يبغي من شدته إلا خلاص الأنفس والدفاع عن الإيمان المستقيم ، يبعد الذئاب عن القطيع ويطهر أرض الدير والكنيسة ليشب أولاده رجالا أقوياء في الإيمان نامين في

الفضائل مثمرين في عمل الرب . وهل يتولى الذئب رعي الغنم ؟

ألهب المتهاونين بسياط عظاته وتوبيخه ليفيقوا ، وبقدر ما كان شديداً بقدر ما نما عدد الرهبان وتكاثر ، في كتاباته تلمس الإستنكار الشديد للذين كانوا يخالفون التعاليم المقدسة ، فإذا تصورنا الظروف القاسية المجهدة والأمانة الموضوعة في عنقه نعرف إلى أي حد كان حكيماً في أقواله وقراراته .

نراه قد فتح ديره صباح الأحد لكل قاصد ، يفد إليه الالوف يستمعون إلى عظاته ويزودهم بتعاليمه المقدسة ، وما أن كان يفتح باب الدير حتى تقبل حشود الجموع كالبحر الزاخر متدفقة مياهه ، كانت عظاته دليلا وهدياً لاجيال كثيرة وقد فتحت أقواله مجالات واسعة للتقدم الديني والتحرر من قوى الشر والضعف والتخاذل والإيمان الصحيح .

وما زال هذا القديس الذي بقدوته وعمله وقوله يمزق الأستار التي سبلها بعضهم ليخفوا شخصيته كقديس قد إحتلت مكانتها في الكنيسة القبطية .

سيرتك عاطرة . . . .

هي نور يضيء . . . .

يسترشد به كل سارى . . . .

يا صاحب الاسم المحبوب الحسن (تفسيره ابن الله) جذبت الكل بمغناطيس حبك ورعايتك .

طوباك أيها الشجاع القوى . . . .

إنك لا تعلم إلا الحق . . . .

لا تجاهر إلا بالتعليم الصحيح . . . .

تنذر الكبير قبل الصغير . . . .

فى يوم عيدك تكرمك . . . .

نصرخ أن أطلب إلى الرب لكى يعيننا ويصنع رحمة مع نفوسنا ويغفر لنا خطايانا .

يوسف حبيب

إنتهى الجزء الأول
ويليه الجزء الثانى إن شاء الله